Aleppo in Fatimid politics During the 4-5 AH/10-11 AD centuries

Dr. Sami Muray *

(Received 3 / 11 / 2021. Accepted 30 / 1 / 2022)

□ ABSTRACT □

During the fourth and fifth centuries AH/10-11 AD, Aleppo played a major role in the history of Arabs and Islam in general, and the history of the Bilad Al-Sham in particular, as it was present for two successive states that were established in the north of the Bilad Al-Sham, namely: the Hamdani state (333-406 AH / 944-1016 AD), and the Mirdasian state (415-473 AH / 1024 - 1080 AD), and during their time, Aleppo was The focus of the Fatimid Caliphate's attention for more than a century, between the middle of the fourth century AH/10AD, and the middle of the fifth century Hegira / 11 AD, during the reigns of five Fatimid caliphs, they are: Al-Muizz Li-Din Allah (341-365 AH / 953-975 AD), Al-Aziz Billah (365-386 AH / 975-996 AD), Al-Hakim Bi-Amr Allah (386-411 AH / 996-1021 AD), AL-Zahir Li- Izzaz Deen Allah (411-427 AH/1021-1036 AD), and Al-Mustansir Billah (427-487 AH/1036-1094AD), Aleppo, during their covenants, took part of the administration's attention. The Fatimids, which sought as much as they could to make it subordinate to its influence, and pushed dozens of military campaigns towards it to control it, and put it under direct Fatimid rule, It aims to unite the Bilad Al-Sham in a complete form under its control, and for importance of Aleppo location as a corridor connecting to Iraq, and wresting the leadership of the Islamic world from the Abbasid Caliphate.

Key words: Aleppo, the Hamdani state, the Mardasian state, the Fatimid caliphate, Al-Mu'izz li-Din Allah, Al-Aziz bi Allah, Al-Hakim bi-Amr Allah, Al-Zahir Li-Izzaz Deen Allah, Al-Mustansir billah.

* **Associate Professor at Department of History, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria. E- mail: sami773989@gmail.com.**

حلب في السياسة الفاطمية
خلال القرنين 4- 5هـ/ 10- 11م

د. سامي مرعي *

(تاريخ الإيداع 3 / 11 / 2021. قبل للنشر في 30 / 1 / 2022)

□ ملخّص □

شغلت حلب خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ 10- 11م دوراً كبيراً في تاريخ العرب والإسلام عامة، وتاريخ بلاد الشام خاصة، إذ كانت حاضرة لدولتين متعاقبتين قامتا في شمال بلاد الشام، هما: الدولة الحمدانية (333-406هـ/ 944- 1016م)، والدولة المرداسية (415- 473هـ/ 1024- 1080م)، وفي خلال عصرهما كانت حلب محط اهتمام الخلافة الفاطمية لأكثر من قرن من الزمن ما بين أواسط القرن الرابع الهجري/10م، وأواسط القرن الخامس الهجري/11م، في عهود خمس خلفاء فاطميين، وهم: المعز لدين الله (341- 365هـ/ 953- 975م)، والعزيز بالله (365- 386هـ/ 975- 996م)، والحاكم بأمر الله (386- 411هـ/ 996- 1021م)، والظاهر لإعزاز دين الله (411- 427هـ/ 1021- 1036م)، والمستنصر بالله (427- 487هـ/ 1036- 1094م)، فأخذت حلب في عهودهم حيزاً من اهتمام الإدارة الفاطمية التي سعت بأقصى ما استطاعت لجعلها تابعة لنفوذها، ودفعت بعشرات الحملات العسكرية نحوها للسيطرة عليها، وجعلها تحت الحكم الفاطمي المباشر، بهدف توحيد بلاد الشام بشكل كامل تحت نفوذها، ولأهمية موقع حلب بصفتها ممراً موصلاً إلى العراق، وانتزاع زعامة العالم الإسلامي من الخلافة العباسية.

الكلمات المفتاحية: حلب، الدولة الحمدانية، الدولة المرداسية، الخلافة الفاطمية، المعز لدين الله، العزيز بالله، الحاكم بأمر الله، الظاهر لإعزاز دين الله، المستنصر بالله.

* أستاذ مساعد – قسم التاريخ –كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية. sami773989@gmail.com

مقدمة:

تعد حلب مركز شمال بلاد الشام، وعقدة مواصلات مهمة، وبوابة للوصول من بلاد الشام إلى العراق، لذلك كانت محط اهتمام الفاطميين لأكثر من قرن من الزمن ما بين أواسط القرن الرابع الهجري/10م، وأواسط القرن الخامس الهجري/11م، فكيف كانت سياستهم تجاه حلب؟ كيف سعوا لجعلها تابعة لنفوذهم؟ هل كانوا يقبلون من أمراء إمارة حلب سواء من بني حمدان أو بني مرداس بتقديم فروض الولاء والطاعة، أم أنهم سعوا لجعل حاضرتهم تحت الحكم الفاطمي المباشر؟ ولماذا أخفقوا في السيطرة عليها لمدد زمنية طويلة على الرغم من إرسالهم عشرات الحملات العسكرية لإخضاعها لحكمهم المباشر؟ وغير ذلك من التساؤلات التي يثيرها البحث، والتي سوف يتم معالجتها مفصلاً.

أهمية البحث وأهدافه: تأتي أهمية هذا البحث من الدور الكبير الذي شغلته حلب في التاريخ العربي الإسلامي لا سيما خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين/ 10- 11م، إذ كانت حاضرة لدولتين متعاقبتين قامتا في شمال بلاد الشام، وهما: الدولة الحمدانية والدولة المرداسية، وفي الوقت نفسه كانت محط اهتمام الخلافة الفاطمية التي بذلت أقصى ما في وسعها للسيطرة عليها، وجعلها خاضعة لنفوذها المباشر، وقد اختير البحث في هذا الموضوع نظراً لأنه لم يحظَ بدراسة مستقلة من قبل، وهو يهدف إلى تقديم إحاطة شاملة عن وضع حلب في السياسة الفاطمية، وتبيان الأساليب التي اتبعوها للسيطرة عليها، والتي تراوحت ما بين العمل السياسي، والحملات العسكرية.

منهج البحث:

يعتمد البحث على منهج البحث التاريخي القائم على جمع المادة العلمية التي تخص البحث من المصادر والمراجع، ودراستها وتحليلها والمقارنة فيما بينها، وصياغة المادة بإسلوب هادئ وسلس بهف الوصول إلى حقائق تأريخية مقاربة للواقع في عصره، وقد تمت العودة إلى المصادر الأصيلة للبحث التي كان مؤلفوها معاصرين لزمن الموضوع، أو نقلوا عن مصادر معاصرة للمدة المدروسة، على أن أوفى المصادر بالمادة للبحث هي المصادر الشامية، وتليها في الأهمية المصادر المصرية، ويأتي بعدها المصادر العراقية، كما تمت العودة إلى العديد من الدراسات والمراجع الحديثة.

النتائج والمناقشة

1- **لمحة عن جغرافية حلب ووضعها السياسي خلال القرنين 4- 5هـ/ 10- 11م:** تعد حلب أهم مدن شمال بلاد الشام، وهي ذات موقع بالغ الأهمية بين الشرق والغرب، وعقدة مواصلات ومحط رحال القوافل التي تلتقي في أسواقها الحسنة، وتخرج منها بالاتجاهات المختلفة[1]. وزاد من أهمية موقعها خصوبة أرضها، وتنوع الزراعات والأشجار المثمرة التي تنتجها، فكان منها الحبوب والسمسم والبطيخ والخيار والذرة والقطن والزيتون والتين والتفاح والكروم والفستق الحلبي وغيرها، كما اشتهرت بكثرة سروها الذي استخدمت أخشابه في عمل السقوف[2]، وتميزت فيها

---

[1] ابن حوقل، محمد (ت، نحو 367هـ/ 977م)، صورة الأرض، مطبعة بريل، ط2، ليدن، 1938م، ص177، 185- 186؛ ناصر خسرو، ناصر خسرو القبادياني (ت، نحو 481هـ/ 1088م)، سفر نامه، تر: يحيى الخشاب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، القاهرة، 1993م، ص55.

[2] المهلبي، الحسن (ت، 380هـ/ 990م)، الكتاب العزيزي، جمعه: تيسير خلف، دار التكوين، ط1، دمشق، 2006م، ص85- 86، 104- 105؛ الحموي، ياقوت (ت، 626هـ/ 1229م)، معجم البلدان، (7 مجلدات)، دار صادر، ط2، بيروت، 1995م، مج2، 284؛ ابن العديم، عمر (ت، 660هـ/ 1262م)، بغية الطلب، (12 مجلداً)، تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1988م، مج1، ص60، 85، 134، 415، 422- 423.

بعض الحرف مثل: حياكة الثياب القطنية، وصناعة الصابون، وطحن الحبوب[1]. ولم تقف أهميتها عند الجانب الاقتصادي، بل تبوأت مركزاً متميزاً في العالم العربي والإسلامي في القرنين الرابع والخامس الهجريين/ 10-11م، إذ أصبحت حاضرة لدولتين متعاقبتين قامتا في شمال بلاد الشام، فما هما تلك الدولتان؟.

تمثلت أولهما في الدولة الحمدانية التي أسسها سيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان في سنة 333هـ/ 944م، وقد اشتهر بحروبه الجريئة ضد الروم البيزنطيين، كما اشتهر برعايته للعلماء والأدباء في بلاطه، ولما توفي في سنة 356هـ/ 967م، خلفه ابنه سعد الدولة أبو المعالي شريف بن علي (356- 381هـ/ 967- 991م)، وفي عهده دخلت الدولة بحالة من الفوضى والاضطراب والضعف، وازداد وضعها ضعفاً في عهد ابنه سعيد الدولة (381- 392هـ/ 991- 1002م)، وما إن توفي حتى صار حكم تلك الدولة لغلمان الحمدانيين ممثلين بلؤلؤ السيفي الكبير الذي حكم حتى توفي سنة 399هـ/ 1008م، فخلفه ابنه منصور بن لؤلؤ الذي بقي يحكمها حتى أجبر على تركها والهروب منها إلى البيزنطيين في أنطاكية في سنة 406هـ/ 1016م[2]، فانتهى حكم غلمان الحمدانيين في حلب لتبدأ فيها مرحلة تاريخية كانت تابعة بداية للفاطميين حتى سنة 415هـ/ 1024م، ثم أصبحت مركز الإمارة المرداسية التي أسسها صالح بن مرداس الكلابي، وحكمها حتى توفي سنة 420هـ/ 1029م، فخلفه ثلاثة من أبنائه على حكمها، وهم: نصر بن صالح (ت، 429هـ/ 1037م)، ثم ثمال بن صالح (ت، 454هـ/ 1062م)، ثم حكم عطية بن صالح ثلاث سنوات بين (454- 457هـ/ 1062- 1065م) حتى انتزع الحكم منه ابن أخيه محمود بن نصر بن صالح (457- 467هـ/ 1065- 1074م)، فخلفه ابنه نصر بن محمود (467- 468هـ/ 1074- 1075م)، ثم حكم أخوه سابق بن محمود (468- 473هـ/ 1075- 1080م)، وهو آخر أمراء بني مرداس[3]. وخلال عصر هاتين الدولتين كانت الخلافة الفاطمية في القاهرة تطمح لأن تسيطر على حلب؛ فمتى بدأ طموحها للسيطرة عليها؟.

2- **أسباب التوجه الفاطمي نحو بلاد الشام:** حرص الفاطميون منذ أقاموا خلافتهم في المغرب أواخر القرن الثالث الهجري/ 9م على مد نفوذهم باتجاه المشرق، وتقويض دعائم الخلافة العباسية، وانتزاع زعامة العالم الإسلامي منها[4]، ولتحقيق هدفهم، مدّوا نفوذهم إلى مصر في سنة 358هـ/ 968م [5]، ثم اتجهوا لضم بلاد الشام إلى مناطق

---

[1] المقدسي، محمد (ت، نحو 380هـ/ 990م)، أحسن التقاسيم، مطبعة بريل، ليدن، 1906م، ص181؛ ابن حوقل، صورة الأرض، ص177؛ ابن العديم، زبدة الحلب، (جزآن)، تح: سهيل زكار، دار الكتاب العربي، ط1، دمشق، 1997م، ج1، ص165.

[2] للمزيد عن الدولة الحمدانية بحلب، انظر: الأزدي، علي (ت، 623هـ/ 1226م)، أخبار الدولة الحمدانية، تح: تميمة الرواف، دمشق، دار حسان، ط1، 1985م، ص23-40، 47-60؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص111-187؛ السامر، فيصل، الدولة الحمدانية في الموصل وحلب، مطبعة جامعة بغداد، بغداد، 1973م، ج2، ص30-95؛ طقوش، محمد، تاريخ الطولونيين والإخشيديين والحمدانيين، دار النفائس، ط1، بيروت، 2008م، ص259-348.

[3] للمزيد عن الدولة المرداسية بحلب، انظر: ابن العديم، زبدة، ج1، ص197-302؛ زكار، سهيل، إمارة حلب، دار الكتاب العربي، دمشق، (د.ت)، ص57-164؛ الشيخ، محمد، الإمارات العربية في بلاد الشام في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلاديين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، الإسكندرية، 1980م، ص65-151؛ عبد المولى، محمد أحمد، بنو مرداس الكلابيون في حلب وشمال الشام، دار المعرفة الجامعية، ط1، الإسكندرية، 1985م، ص9- 19.

[4] المقريزي، أحمد (ت، 845هـ / 1441م)، إتعاظ الحنفا، (جزآن)، تح: محمد عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2001م، ج1، ص151- 152؛ سرور، محمد، النفوذ الفاطمي في بلاد الشام والعراق، دار الفكر العربي، ط2، القاهرة، 1959م، ص16؛ المعاضيدي، خاشع، الحياة السياسية في بلاد الشام خلال العصر الفاطمي، دار الحرية، ط1، بغداد، 1976م، ص22.

[5] الأنطاكي، يحيى (ت، 458هـ/ 1066م). تاريخ الأنطاكي، تح: عمر تدمري، جروس برس، طرابلس، 1990م، ص130- 133؛ المقريزي، إتعاظ، ج1، ص178- 186؛ ابن تغري بردي، يوسف (ت، 874هـ/ 1469م)، النجوم الزاهرة، (16 جزءاً)، تح: محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1992م، ج4، ص29- 35.

نفوذهم، بهدف نشر الدعوة الفاطمية فيها والأقاليم التي تليها شرقاً، وتأمين حدود مصر الشمالية والشرقية، والوقوف في وجه الأخطار التي قد تهددهم سواء من الروم أو القرامطة، واتخاذ بلاد الشام قاعدة لمهاجمة العباسيين والقضاء على خلافتهم[1]، وفي سبيل ذلك وجهوا في مطلع سنة 359هـ/ 969م جيشاً كثيفاً بقيادة جعفر بن فلاح الكتامي[2] إلى بلاد الشام، فسيطر على مناطق جنوبها، ووصل حتى أواسطها التي أصبحت خاضعة للنفوذ الفاطمي، ثم أرسل جيشاً لانتزاع أنطاكية من أيدي البيزنطيين، فحاصرها خمسة أشهر، ثم اضطر للعودة إلى دمشق بسبب توجه القرامطة نحوها[3].

3- **حلب في السياسة الفاطمية في عهد الخليفتين المعز لدين الله والعزيز بالله (359- 386هـ/ 969- 996م):** المعز لدين الله: هو أبو تميم معد بن إسماعيل بن محمد بن عبيد الله، ولد سنة319هـ/ 931م، ولي الخلافة في سنة 341هـ/ 953م، وفي أيامه تمّت السيطرة على مصر سنة 358هـ/ 968م، ولما كانت سنة 362هـ/972م انتقل إليها، وصارت القاهرة عاصمة الخلافة الفاطمية، توفي سنة 365هـ/ 975م، فكانت ولايته 23 سنة وخمسة أشهر، منها سنتان وسبعة أشهر وأربعة أيام بمصر[4]، فخلفه ابنه نزار بلقب العزيز بالله، حتى توفي سنة 386هـ/ 996م[5]؛ وفي أيامهما سعيا إلى مد نفوذ دولتهم إلى حلب عاصمة الدولة الحمدانية آنذاك، وكان قد بدأ الاهتمام الفاطمي بحلب منذ دخول الفاطميين إلى جنوب بلاد الشام، ويروى في هذا الجانب أن القائد الفاطمي جعفر بن فلاح بعدما استولى على دمشق كتب إلى الحمدانيين مهدداً إياهم بالاستيلاء على بلادهم فيما إذا امتنعوا عن إقامة الدعوة للخليفة الفاطمي على منابر بلادهم[6]. ويظهر أن ذلك التهديد قد لاقى صداه لدى أمراء حلب وشمال بلاد الشام،

---

[1] القرشي، إدريس (ت،872هـ/ 1467م)، أخبار الدولة الفاطمية، تح: مصطفى غالب، دار الأندلس، 1978م، ص136؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص16- 17؛ المعاضيدي، الحياة السياسية، ص22.

[2] جعفر بن فلّاح الكتامي: من أرقى الكتاميين، وأحد قواد الخليفة المعز، شارك في فتح الجيش الفاطمي لمصر، ثم أرسله القائد جوهر الصقلبي على رأس جيش إلى بلاد الشام، فسيطر على جنوبها حتى أواسطها في سنة 359هـ/ 969م، وأقام بدمشق حتى قتل على أيدي القرامطة في سنة 360هـ/ 970م؛ ابن خلكان، محمد (ت، 681هـ/ 1282م)، وفيات الأعيان، (8 مجلدات)، تح: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، (د.ت)، مج1، ص361-362؛ المقريزي، المقفى، (8 أجزاء)، تح: محمد اليعلاوي، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، 1991م، ج3، ص50- 58؛ الصفدي، خليل (ت، 764هـ/ 1362م)، تحفة ذوي الألباب، تح: إحسان خلوصي وزهير حميدان، دار البشائر، ط2، دمشق، 1999م، ص312-313.

[3] الأنطاكي، تاريخ، ص145- 146؛ سبط ابن الجوزي، يوسف (ت، 654هـ/ 1256م)، مرآة الزمان، (23 جزءاً)، ج17، تح: عمار ريحاوي، دار الرسالة العالمية، ط1، دمشق، 2013م، ج17، ص402- 403؛ النويري، أحمد (ت، 733هـ/ 1332م)، نهاية الأرب، (33 جزءاً)، (ج28- 29) تح: نجيب فواز، حكمت فواز، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 2004م، ج28، ص84؛ المقريزي، إتعاظ، ج1، ص190- 197؛ المقفى، ج3، ص51- 57. من الأهمية التنويه إلى أن القرامطة استاؤوا من سيطرة الفاطميين على دمشق لأنهم كانوا قد قرروا مع واليها الإخشيدي الحسن بن عبيد الله بن طغج أن يحمل إليهم إتاوة كل سنة، ومقدارها ثلاثمائة ألف دينار، ولكن بسيطرة الفاطميين عليها انقطعت تلك الإتاوة، لذلك اتجهوا لمحاربتهم؛ ابن القلانسي، حمزة (ت، 555هـ/ 1160م)، تاريخ دمشق، تح: سهيل زكار، دار حسان، ط1، دمشق، 1983م، ص1؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج17، ص432؛ المقريزي، إتعاظ، ج1، ص246؛ ابن تغري، النجوم، ج4، ص78.

[4] القضاعي، محمد (ت، 454هـ/ 1062م)، تاريخ القضاعي، تح: جميل عبد الله المصري، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، 1995م، ص563- 567؛ الدواداري، أبو بكر (ت، بعد 736 هـ/ 1335م)، الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، تح: صلاح الدين المنجد، المعهد الألماني للآثار، القاهرة، 1961م، ص119- 174.

[5] القضاعي، تاريخ، ص570- 571؛ المقريزي، إتعاظ، ج1، ص284- 319.

[6] السامر، الدولة الحمدانية، ج2، ص68؛ بيطار، أمينة، موقف أمراء العرب بالشام والعراق من الفاطميين حتى أواخر القرن الخامس الهجري، دار دمشق، ط1، دمشق، 1980م، ص184؛ ذكر المقريزي أن جعفر بن فلاح لما أخذ طبرية بعث إلى أبي تغلب الحمداني في الموصل بداعٍ يقال له أبو طالب التنوخي من أهل الرملة يدعوه لإقامة الدعوة للخليفة الفاطمي، فلما قدم الداعي على أبي تغلب وأدى

فأقاموا الخطبة للخلافة الفاطمية[1]، ولكن هذا لا يعني أن حلب أصبحت تدور في فلك السياسة الفاطمية، وأن أمراءها باتوا بحكم التابعين لها، بل إن موقفها من الخلافة الفاطمية تأثر بالوضع الفاطمي العام في بلاد الشام، ونشاط الحركات المناهضة لهم فيها، ومن جانب ثان تقلب أمراء حلب خلال السنوات التالية في ولائهم السياسي ما بين الخلافة الفاطمية والخلافة العباسية، وذلك حسب مقتضيات الظرف السياسي القائم، وبروز قوة إحدى الخلافتين، وأثر ذلك على وضع تلك الدولة. لكن الخلافة الفاطمية ما إن بسطت نفوذها في بلاد الشام حتى واجهت العديد من الحركات المناهضة لنفوذها فيها[2]، فانشغلت بالقضاء على تلك الحركات، وبتوطيد سلطتها في جنوبها، ولذلك لم تسعَ آنذاك لمد نفوذها إلى حلب، بل كانت راضية من أمرائها الحمدانيين فقط بإقامة الدعوة للخليفة الفاطمي وضرب اسمه على النقود، ولعلها كانت تعتمد في ذلك مبدأ الوزير يعقوب بن كلس[3] الذي قدّمه على شكل نصيحة للخليفة العزيز بالله، قائلاً له: "سالم يا أمير المؤمنين الروم ما سالموك، واقنع من الحمدانية بالدعوة والسكة، ولا تبق على المفرج بن دغفل بن الجراح[4] متى عرضت لك فيه فرصة"[5]، ولكن هذا لم يمنع الخلافة الفاطمية من التوجه للسيطرة على حلب بعد ما تخلصت من الحركات المناهضة في جنوب بلاد الشام، فكيف كانت أوضاع حلب وقتئذ؟.

كانت أوضاع الدولة الحمدانية في حلب مضطربة بسبب تمرد قرغويه[6] على سيده سعد الدولة الحمداني (356-381هـ/ 967- 991م)، وسيطرته على الحكم فيها بالتعاون مع حاجب له يدعى بكجور[7]، ولما حاول سعد الدولة

الرسالة قال له: "هذا ما لا يتم، لأنَّا في دهليز بغداد والعساكر منّا قريبة. ولكن إذا قربت عساكركم من هذه الديار أمكن ما ذكرته"؛ المقفى، ج3، ص57؛ إتعاظ، ج1، ص246.

(1) ابن الأثير، علي (ت، 630هـ/ 1232م)، الكامل في التاريخ، (11 جزءاً)، تح: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، ط4، بيروت، 2004م، ج7، ص296- 297؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج17، ص412؛ المقريزي، إتعاظ، ج1، ص198؛ ابن تغري، النجوم، ج4، ص61.

(2) تمثلت الحركات المناهضة للنفوذ الفاطمي في بلاد الشام في: قرامطة البحرين، وقبيلة بني الجراح الطائيين في فلسطين، وحركة أفتكين التركي، كما نشبت فتن متعددة بين الجند الفاطميين وأهالي دمشق؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص1-37؛ المعاضيدي، الحياة السياسية، ص33- 61؛ سرور، النفوذ الفاطمي، ص29-45. Salibi, Kamal, Syria under Islam, first P. 75-83. published , Lebanon, 1977,

(3) أبو الفرج يعقوب بن يوسف بن كلس: أول وزراء الفاطميين، عهد إليه الخليفة المعز لدين الله أمور الخراج وجميع وجوه الأموال والحسبة، وعندما تولى العزيز بالله الخلافة جعله وزيره، توفي في سنة 380هـ/991م؛ ابن الصيرفي، علي (ت، 542هـ/1147م)، الإشارة إلى من نال الوزارة، تح: عبد الله مخلص، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1923م، ص19-23؛ ابن خلكان، وفيات، مج7، ص27-34؛ المناوي، محمد حمدي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، دار المعارف، القاهرة، (د.ت)، ص241.

(4) المفرج بن دغفل بن الجراح، أبو الدؤاد، من طيء: أمير بادية الشام في أيام الفاطميين، كانت الرملة في فلسطين إقطاعاً له، تميز بمواقفه المتقلبة من الفاطميين، توفي سنة 404هـ/ 1013م؛ الأنطاكي، تاريخ، ص191- 192، 199- 200، 265، 288- 291، 305- 306؛ المقريزي، المقفى، ج3، ص302، 351- 352، 541- 542؛ الزركلي، خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين، ط15، بيروت، 2002م، ج7، ص278.

(5) الروذراوري، محمد (ت، 488هـ/ 1095م)، ذيل تجارب الأمم، باعتناء: هـ . ف . آمدروز، شركة التمدن الصناعية، مصر، 1916م، منشور كجزء ثالث لكتاب تجارب الأمم، ص185؛ ابن الصيرفي، الإشارة، ص23؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص56؛ ابن خلكان، وفيات،ج7، ص33.

(6) قرغويه: أحد غلمان سيف الدولة وحجابه، عصى على سعد الدولة بحلب، ومنعه من دخولها، وهادن الروم، واستمر متحكماً بها حتى انقلب عليه غلامه بكجور سنة 364هـ/ 974م، وسجنه بالقلعة، توفي سنة 380هـ/ 990م؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص48؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص140، 143، 146-147، 150-154، 156، 158، 164؛ الدواداري، الدرة، ص200.

(7) أبو الفوارس بكجور التركي الحاجبي الكاسكي: كان غلاماً مملوكاً لقرغويه أحد غلمان سيف الدولة الحمداني، ولما عصى قرغويه على سيده سعد الدولة في حلب، وسيطر على الحكم فيها، شاركه في الأمر غلامه بكجور، فدُعي لهما على المنابر، وكتب اسم بكجور على السكة، وصار يخاطب بالأمير، بينما خوطب قرغويه بالحاجب، واستمر الوضع هكذا حتى سنة 364هـ/ 974م، حين انقلب بكجور على

استعادة عرشه في حلب، استعان قرغويه بالروم البيزنطيين، ووقع معهم هدنة أصبح بموجبها بمثابة التابع لهم[1]، ومع ذلك لم يلبث قرغويه أن تصالح مع سيده سعد الدولة في سنة 359هـ/ 970م، كما ذكرت بعض المصادر، وأقاما الخطبة بحلب وحمص للمعز، فبُعث إليهما بالأموال والخلع الفاطمية[2]، ولا يعرف مدى صحة تلك الرواية، كذلك لا يمكن اعتبار ذلك دليلاً على أن حلب صارت تدين بالولاء للخلافة الفاطمية، ولكن الأمر المؤكد منه هو أنها بقيت بأيدي غلمان الحمدانيين إلى سنة 367هـ/ 977م عندما استعاد سعد الدولة السيطرة عليها، وأمّن بكجور، وولّاه حمص، وفيها أخذ بكجور يؤسس لحكمها مدة طويلة، إذ عمّرها، وأصلح طرقها وأمنها[3]، ومنها أخذ يتقرب إلى الدولة الفاطمية، إذ أقام الخطبة للخليفة الفاطمي العزيز بالله، وصار يكاتب ذلك الخليفة، وتصله أجوبة على كتبه[4]، فكسب ثقة الفاطميين والخليفة الفاطمي بالذات، فما دوافع بكجور إلى ذلك التقارب؟.

في الواقع وكما يظهر من مجرى الأحداث، كان بكجور يطمح للاستيلاء على حلب، والحصول على مساعدة الفاطميين في السيطرة عليها، لذلك ما إن وقع خلاف بينه وبين سعد الدولة الحمداني حتى كاتب الخليفة العزيز بالله يطلب منه إنفاذ قوة عسكرية لضم حلب التي كانت تدين بالولاء للخلافة العباسية[5] إلى دولة الفاطميين، فاستجاب العزيز بالله له، وأرسل جيشاً إلى بكجور، وكان هذا أول حملة عسكرية باسم الفاطميين للسيطرة عليها، فحاصرها بكجور في سنة 373هـ/983م، ولكنه اضطر لرفع الحصار عنها بعد مدة قصيرة بسبب قدوم عسكر البيزنطيين لمباغتته أثناء حصارها، وقيل إن قدومهم كان بطلب من سعد الدولة الذي خشي من خطر بكجور والفاطميين، وأخذ حلب منه[6]، وبذلك أخفقت أول حملة عسكرية فاطمية للسيطرة عليها، وانسحب بكجور بمن معه من قوات، وفيما بعد تسلم دمشق من قبل الخلافة الفاطمية في السنة نفسها، فاستمر يتولاها حتى أبعد عنها في سنة 378هـ/ 988م بسبب سوء سيرته

مولاه قرغويه، فقبض عليه وسجنه بقلعة حلب، وتفرد بالأمر دونه، واستمر مسيطراً عليها حتى سنة 367هـ/ 977م عندما استعاد سعد الدولة الحمداني حلب، وأمّن بكجور، ومنحه ولاية حمص، فاستمر عليه حتى سنة 372هـ/ 982م، ثم وُلي دمشق من قبل الفاطميين ما بين 373هـ/ 983م ، و378هـ/ 988م، ثم توجه إلى الرقة، وحاول السيطرة على حلب، غير أنه هُزم أمام قوات سعد الدولة الحمداني، وقتل في سنة 381هـ/991م؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص48- 64؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص150- 151، 158- 159، 163- 165؛ الصفدي، تحفة، ص348.

(1) الأنطاكي، تاريخ، ص133، 135؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص150-157؛ الأزدي، أخبار، ص48-49؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج17، ص410-411؛ ابن كثير، إسماعيل (ت، 774هـ/ 1372م)، البداية والنهاية، (20 جزءاً)، تح: عبد الله التركي، دار هجر، ط1، القاهرة، 1998م، ج15، ص323.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة، ج17، ص412؛ أبو الفداء، إسماعيل (ت، 732هـ/ 1331م)، المختصر في أخبار البشر، (4 أجزاء)، دار المعرفة، بيروت، (د.ت)، ج2، ص111؛ ابن تغري، النجوم، ج4، ص61؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج15، ص325.

(3) الأنطاكي، تاريخ، ص186- 187؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص48- 49؛ الأزدي، أخبار، ص50؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص157- 159؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص352- 353؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص118؛ الدواداري، الدرة، ص201؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج15، ص372.

(4) الروذراوري، ذيل، ج3، ص208؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص50؛ الدواداري، الدرة، ص201.

(5) بعد ما استعاد سعد الدولة الحمداني حلب وجد نفسه ضعيفاً أمام الروم البيزنطيين، ومهدداً من جانب الفاطميين، لذلك حالف البويهيين لتقوية مركزه، فأرسل وفداً لتهنئة عضد الدولة البويهي بمناسبة انتصاره على بختيار وسيطرته على العراق، ويعلن الطاعة له، فمنحه الخليفة العباسي الطائع لله لقب "سعد الدولة"، وخلعاً في سنة 367هـ/ 977م، وخاطبه الطائع في كتاب العهد "بسيدي ومولاي وعدتي"، فأقيمت الدعوة بحلب للطائع ولعضد الدولة ثم لسعد الدولة، وبذلك صار سعد الدولة يحكم حلب بمثابة والي من قبل العباسيين ويدين بالطاعة للبويهيين المسيطرين عليها؛ الأنطاكي، تاريخ، ص187؛ الأزدي، أخبار الدولة الحمدانية، ص50؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص160.

(6) الأنطاكي، تاريخ، ص200؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص50- 51؛ الأزدي، أخبار، ص50؛ الدواداري، الدرة، ص210.

فيها، فرحل عنها قاصداً الرقة التي التجأ إليها[1]، وفيها أقام الدعوة للخليفة الفاطمي العزيز بالله، وأخذ يكاتب سعد الدولة الحمداني للعودة إلى حمص، ولمّا لم يحصل على مطلبه[2]، بدأ يتطلع للاستيلاء على حلب، فكاتب الخليفة الفاطمي العزيز، وأوضح له أهميتها، وكثرة خيراتها، وأنها دهليز العراق، أي الطريق الموصل إليه، وإذا صارت تابعة للفاطميين، كانت السيطرة على ما بعدها أسهل، وطلب المساعدة العسكرية للسيطرة عليها، فكتب العزيز الفاطمي إلى نزال الغوري[3] والي طرابلس بالمسير ومساعدته عندما يطلب منه ذلك[4]، وبعدما استجمع بكجور قواته سار قاصداً حلب لانتزاعها من سعد الدولة الحمداني، غير أنه هُزم وقتل في سنة 381هـ/ 991م[5]، فما الأسباب التي أدت إلى هزيمته؟.

هناك أكثر من سبب أدى إلى هزيمة بكجور، ولعل أبرزها يعود إلى تخاذل الفاطميين في تقديم المساعدة له، فقد كانت خطة الوزير الفاطمي عيسى بن نسطورس[6] توريط بكجور في حرب مع سيده سعد الدولة الحمداني دون تقديم أية مساعدة له، وفي هذا ما يدفع للتساؤل عن سبب موقف ذلك الوزير، فالخلافة الفاطمية كانت آنذاك تسعى لزيادة مساحة المناطق التي تسيطر عليها، وانتزاع زعامة العالم الإسلامي من الخلافة العباسية، ولكن وزيرها تعمد عدم تقديم المساعدة لبكجور الذي يسعى للسيطرة على حلب باسم الفاطميين، فما سبب موقفه هذا؟. على الرغم من أن بعض المصادر ردّت سبب موقف الوزير ابن نسطورس إلى عداوة شخصية مستحكمة بينه وبين بكجور، لأن الأخير خاطبه في مكاتباته بخطاب دون المستوى المطلوب، فأسرّ عيسى العداوة له وأساء غيبهُ، فشكاه بكجور إلى الخليفة الفاطمي، "فأمر عيسى باستئناف الجميل معه، فقبل ظاهراً وخالف باطناً"[7]، ولكن ذلك السبب على أهميته لا يكفي لتعليل موقف موقف الوزير ابن نسطورس، ولعل السبب الأبرز لموقفه يعود لأن ذلك الوزير كان يعتمد سياسة سلفه الوزير يعقوب بن كلس التي تقوم على عدم السيطرة المباشرة على حلب، والاكتفاء من أمرائها الحمدانيين بإعلان الولاء والطاعة للخليفة الفاطمي لأن جهود الخلافة الفاطمية في تلك الآونة كانت منصرفة لتثبيت نفوذها في جنوب بلاد الشام قبل التوجه للتوسع إلى شمالها. ويعود السبب الثاني في هزيمة بكجور إلى طلب سعد الدولة المساعدة من البيزنطيين الذين جاؤوا

---

[1] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص51– 54؛ ابن عساكر، علي (ت، 571هـ/ 1175م)، تاريخ مدينة دمشق، (80 جزءاً)، تح: علي شيري، دار الفكر، بيروت، 1995م، ج10، ص375؛ الصفدي، تحفة، ص348؛ ابن خلدون، عبد الرحمن (808هـ/ 1406م)، تاريخ ابن خلدون، (8 مجلدات)، تح: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، 2001م، ج4، ص68؛ الدواداري، الدرة، ص212، 218– 222.

[2] ذكر ابن القلانسي أن الوزير الفاطمي يعقوب بن كلس هو الذي أفسد عودة بكجور إلى حمص، إذ أرسل سرية إليها داهمت أصحاب بكجور بأحمالهم فيها، فأخذتهم ورجعت إلى دمشق، ما أدى إلى فساد علاقات بكجور مع سعد الدولة والفاطميين معاً؛ تاريخ دمشق، ص54– 55.

[3] القائد نزال الكتامي: من وجوه قواد عيسى بن نسطورس وزير العزيز بالله، تولى طرابلس في سنة 378هـ/ 988م، ودامت ولايته عليها حتى سنة 386هـ/ 996م؛ سالم، السيد عبد العزيز، طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1966م، ص50– 51.

[4] الروذراوري، ذيل، ج3، ص209؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص54– 55؛ الأزدي، أخبار، ص51؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، 68.

[5] ابن عساكر، تاريخ، ج10، ص376؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص446– 447؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص164– 165؛ الدواداري، الدواداري، الدرة، ص230؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص128؛ ابن شداد، محمد (ت، 684هـ/ 1285م)، الأعلاق الخطيرة، (3 أجزاء)، تح: يحيى عبارة، وزارة الثقافة، دمشق، 1978م، ج3، قسم1، ص73.

[6] عيسى بن نسطورس: نصراني من أقباط مصر، استوزره العزيز بالله، وبقي في منصبه حتى توفي العزيز بالله سنة 386هـ/ 996م، قُتل سنة 387هـ/ 997م؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص56– 57؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص104– 105؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص244– 245.

[7] الروذراوري، ذيل، ج3، ص209.

بقواتهم التي في أنطاكية، ونزلوا على مسافة قصيرة من حلب، ويعود ثالثها إلى انحياز العرب في جيش بكجور إلى سعد الدولة منذ بداية الحرب، بعدما راسلهم ومنّاهم بالإقطاعات والعطاء الكثير[1]، وبذلك تخلص سعد الدولة من بكجور، وقضى على محاولته للسيطرة على حلب باسم الفاطميين، واستعاد السيطرة على الرقة، ولم يقبل شفاعة الخليفة الفاطمي العزيز بالله في أولاد بكجور على الرغم من أنه كان يقيم الدعوة له منذ سنة 376هـ/ 986م[2]، وردَّ على العزيز مهدداً بتوجيه الجيوش لمحاربته، وتنفيذاً لتهديده أرسل قسماً من جيشه إلى حمص، بينما أقام هو بظاهر حلب عدة أيام يهيئ جيوشه لقتال الفاطميين، ولكن قبل أن يتحرك مرض وتوفي في رمضان سنة 381هـ/ تشرين الأول 991م، وإثر وفاته تراجعت بعض العساكر التي أرسلها لقتال الفاطميين، فيما استأمن بعضها إلى الخليفة الفاطمي، ودخل في صفوف قواته [3]، وهكذا أخفقت جهود الفاطميين للاستيلاء على حلب بمقتل بكجور.

خلف سعد الدولة الحمداني ابنه أبو الفضائل سعيد الدولة بناءً على وصيته، فتولى الوصاية عليه لؤلؤ السيفي الكبير مولى الحمدانيين[4]، وفي سبيل صد خطر الفاطميين المحدق بدولته، عمد سعيد الدولة إلى التقرب من الخلافة العباسية، ولكن تلك الخلافة كانت تعاني من الضعف ومنشغلة بمشاكلها الداخلية، ولم تكن قادرة على دفع الفاطميين عن حلب، ما دفع سعيد الدولة لطلب المساعدة من البيزنطيين[5]، وفي عهده اشتد طموح الفاطميين في السيطرة على حلب، وخرجوا عن سياستهم السالفة في الإبقاء على الدولة الحمدانية بها، والقبول منها بالولاء والطاعة، فما سبب هذا التحول المفاجئ في سياستها؟. بدون شك يعود ذلك إلى ضعف الدولة الحمدانية آنذاك، ولكن السبب الأبرز يعود لموقف أبي الحسن المغربي[6] وزير الحمدانيين السابق – الذي التجأ إلى مصر– فقد كان حاقداً على الحمدانيين، لمباينة حصلت بينه وبين سعد الدولة الحمداني[7]، لذلك أخذ يُطمع الخليفة العزيز بالله في السيطرة على حلب، وكثرة أموالها، وهوّن عليه الأمر بإرسال أحد غلمانه للسيطرة عليها، وقد لاقى هذا الرأي هوى في نفس الخليفة الفاطمي، لذلك سيّر جيشاً بقيادة منجوتكين التركي[8] وولّاه الشام، وزوّده بالأموال الكثيرة، ولقّبه "أمير الجيوش المنصورة"[9]، وأمره

---

[1] الروذراوري، ذيل، ج3، ص210–214؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص58– 64؛ الأزدي، أخبار، ص51– 53؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، 68–69.

[2] ابن العديم، زبدة، ج1، ص164.

[3] الروذراوري، ذيل، ج3، ص216– 217؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص65– 67؛ الأزدي، أخبار، ص53– 54.

[4] ابن العديم، زبدة، ج1، ص168؛ الأزدي، أخبار، ص55.

[5] السامر، الدولة الحمدانية، ج2، ص81–82؛ "ذكر أن الخلافة العباسية بسبب اضطراب أوضاعها أقرت حكم الحمدانيين على ولاية ديار ديار مضر".

[6] أبو الحسن الغربي، علي بن الحسين بن محمد والد الوزير المغربي: بغدادي الأصل، عرف بالمغربي نسبة لعمل جده في ديوان المغرب في حاضرة الخلافة العباسية، وُزِّر لسعد الدولة الحمداني، ولم يلبث أن انفصل عنه، فالتحق بخدمة بكجور حتى قتل، ثم هرب إلى مصر، ودخل في خدمة الخلافة الفاطمية، واستمر في خدمتها حتى قتله الحاكم بأمر الله سنة 400هـ/ 1010م؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص 145، 159، 161– 162، 164، 170– 171؛ الصفدي، الوافي بالوفيات، (29 جزءاً)، تح: أحمد الأرناؤوط، تركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت، 2000م، ج21، ص24.

[7] ابن العديم، زبدة، ج1، ص164.

[8] ورد رسم اسمه في المصادر بأشكال مختلفة هي: منجوتكين، وينجوتكين، وبنجوتكين، وهو قائد تركي، مولى العزيز بالله، ولاه دمشق سنة 381هـ/ 991م، وبقي عليها حتى سنة 386هـ/996م، توفي سنة 387هـ/997م؛ الأنطاكي، تاريخ، ص221– 239؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص68– 78؛ الصفدي، الوافي، ج29، ص29.

[9] الأنطاكي، تاريخ، ص221.

بالمسير إلى حلب لفتحها، وضمّ إليه أبا الحسن المغربي ليقوم بالأمر والتدبير نظراً لما له من المعرفة السالفة بأمور الشام[1].

وصل منجوتكين إلى دمشق، وفيها تجمعت لديه قوات الفاطميين في الشام، ثم اتجه للسيطرة على حلب، فحاصرها في سنة 382هـ/ 992م بجيش كبير بلغ عدده ثلاثين ألف رجل، فحاول سعيد الدولة الحمداني أن يصالحه، إذ بذل له أموالاً كثيرة على أن يرحل عنه، وأن يكون في الطاعة، ويقيم الدعوة، ويضرب السكة باسم الخليفة الفاطمي العزيز بالله، ويكتب اسمه على البنود في سائر أعماله، ولكن منجوتكين رفض قبول عروضه[2]، عندئذ استبسل سعيد الدولة ولؤلؤ في الدفاع عنها، وكانا في انتظار وصول مساعدة البيزنطيين، وكانا قد أرسلا إلى الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني[3] يستنجدان به منذ أن بلغهم أمر الحملة، فأوعز هذا الإمبراطور إلى قواته المرابطة في أنطاكية بالتحرك نحو حلب لمساعدة حكامها، ودفع الفاطميين عنها، وإثر ذلك سار منجوتكين للقاء البيزنطيين خشية أن يقع بين نارين، فترك بعض قواته تحاصرها، بينما اتجه بالقسم الأكبر منها لملاقاة البيزنطيين، فأنزل الهزيمة بهم، وتتبعتهم القوات الفاطمية حتى أنطاكية[4]، ثم كرَّ منجوتكين لمتابعة حصار حلب، ولكنه لم يستمر طويلاً في حصاره، بل عاد إلى دمشق، فما الأسباب التي دفعته لرفع الحصار عنها؟.

إن رفع منجوتكين الحصار عن حلب يعود للإجراءات التي قام بها لؤلؤ السيفي بعد إخفاق وصول المساعدة البيزنطية إليه، إذ قام بإحراق المزروعات والمحاصيل في الأراضي المحيطة بحلب لكي يحول دون استفادة الجيش الفاطمي منها، والتضييق عليه في المؤن، ومن جانب آخر راسل سراً أبا الحسن المغربي مدبر الحملة، وبعض خواص منجوتكين، وأغراهم بالمال ليقنعوا منجوتكين بالانصراف عن حلب بسبب قلة الأقوات وندرة الغلات، وقد لاقى هذا الرأي قبولاً من القائد الفاطمي، فعاد إلى دمشق[5]، ولمّا بلغ خبر ذلك إلى الخليفة الفاطمي العزيز بالله، استشاط غضباً، وعمل على أن يمدّ العسكر بالميرة من غلات مصر، حيث نقلت بحراً إلى طرابلس، وحملت براً إلى أفامية[6]، فعاد منجوتكين إلى حصار حلب في سنة 384هـ/ 994م، فسيطر على سائر أعمالها، وبنى مدينة بإزائها، قضى الشتاء فيها، واستمر محاصراً لها ثلاثة عشر شهراً حتى انقضت تلك السنة، وفي خلال ذلك اشتدت الأوضاع الداخلية في حلب سوءاً بسبب

---

(1) الروذراوري، ذيل، ج3، ص217؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص67-69؛ ابن تغري، النجوم، ج4، ص121- 122.

(2) الروذراوري، ذيل، ج3، ص217؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص69- 70؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص168- 169؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص100؛ ابن تغري، النجوم، ج4، ص122.

(3) باسيل الثاني: هو ابن الإمبراطور رومانوس الثاني، ومن الأسرة المقدونية، وصل إلى العرش الإمبراطوري عقب وفاة الإمبراطور حنا زمسكيس سنة 366هـ/ 976م، وقد بويع بالتاج الإمبراطوري مع شقيقه قسطنطين الثامن، فحكما بالقسطنطينية مدة 52 سنة، وقد انفرد باسيل الثاني بسياسة الإمبراطورية لأنه أكبر سناً من شقيقه، فيما انصرف أخوه إلى حياة اللهو والصيد، وقد تميز باسيل بقوة عزيمته وشدة بأسه وصرامته، فحقق لبيزنطة مزيداً من الرفعة والمجد، وبقي يحكم حتى توفي سنة 1025م، فخلفه أخوه قسطنطين الثامن الذي كان قسيماً له في الحكم، مدة ثلاث سنوات حتى توفي سنة 1028م؛ العريني، السيد الباز، الدولة البيزنطية، دار النهضة العربية، بيروت، 1982م، ص567- 716؛ فرح، نعيم، تاريخ بيزنطة السياسي، جامعة دمشق، 2009م، ص241- 242.

(4) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص70- 71؛ الروذراوري، ذيل، ج3، ص217- 219؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص169- 170؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص100؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص69؛ ابن تغري، النجوم، ج4، ص122- 124.

(5) الروذراوري، ذيل، ج3، ص219؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص71؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص101؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص69؛ ابن تغري، النجوم، ج4، ص124؛ وراسل أيضاً "أحمد بن محمد القشوري كاتب منجوتكين".

(6) أفامية: مدينة أثرية دارسة في محافظة حماة، يعود بناءها إلى العصر السلوقي، وتعرف حالياً باسم قلعة المضيق؛ الشهابي، قتيبة، معجم المواقع الأثرية في سورية، وزارة الثقافة، دمشق، 2006م، ص20- 21.

ارتفاع الأسعار وتعذر الأقوات[1]، مما دفع لؤلؤ السيفي إلى تجديد طلب الاستنجاد بالإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني، وذكر له أنه متى أخذت حلب، أخذت أنطاكية، ومتى أخذت أنطاكية، أخذت القسطنطينية[2]، وفي إثر هذه الرسالة جاء الإمبراطور البيزنطي في ثلاثة عشر ألفاً، ولمّا بلغ خبر قدومه إلى منجوتكين، رحل منهزماً باتجاه دمشق في سنة 385هـ/ 995م بعدما أحرق الخزائن والأسواق والأبنية التي أحدثها، أما الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني، فأقام على باب حلب، فخرج إليه سعيد الدولة ولؤلؤ وقدما له فروض الطاعة وشكراه، ولم يلبث أن تابع الإمبراطور طريقه جنوباً، فاحتل بعض المواقع التي بأيدي الفاطميين[3]. ومن الأهمية الإشارة إلى أن الأزدي ذكر أن منجوتكين كان قبل رفع الحصار عن حلب وانسحابه قد عقد مع الحمدانيين معاهدة أو صلحاً في سنة 385هـ/ 995م، واستمر هذا الصلح حتى وفاة لؤلؤ السيفي[4]، غير أن المصادر المتوافرة لم توضح بنود ذلك الصلح، وما مدى التزام الطرفين به. ولمّا بلغت أخبار انهزام منجوتكين، وحملة باسيل الثاني على بلاد الشام إلى الخليفة الفاطمي العزيز بالله، دعا إلى الاستنفار والنفير، وقرر أن يخرج بنفسه على رأس قواته للتصدي للبيزنطيين، وإخضاع حلب إلى الحكم الفاطمي المباشر، وأمر بإنشاء إسطول يرافق الحملة البرية، ويسير بمحاذاة الساحل لصد القوات البيزنطية، وعاد منجوتكين مجدداً إلى شمال بلاد الشام غازياً للمرة الثالثة، فوصل إلى أنطاكية ثم سار إلى حلب ونازلها أياماً، ثم قصد الساحل ريثما يصل الأسطول الفاطمي إليه حاملاً المساعدات، غير أن ذلك الأسطول تعرض لعاصفة عاتية حطّمت سفنه قبل وصوله إلى منجوتكين، مما أثّر سلباً على عزيمته، وأدى به إلى الهزيمة[5]. وفي تلك الأثناء كان الخليفة العزيز بالله قد خرج من القاهرة بعساكره مظهراً العزم على غزو البيزنطيين، لكنه مرض في بداية طريقه، وتوفي في رمضان سنة 386هـ/ آب 996م بعد أن أوصى لابنه المنصور الذي حمل لقب الحاكم بأمر الله [6]، وقد أدى ذلك الحادث إلى توقف الحملة الفاطمية، فأنقذت بذلك حلب والإمبراطورية البيزنطية من حرب بالغة الخطورة.

4- حلب في السياسة الفاطمية في عهد الحاكم بأمر الله (386- 411هـ/ 996- 1021م):

تولى الحاكم بأمر الله الحكم، وله من العمر أحد عشر عاماً ونصف، وقد تميزت بداية عهده بالفوضى والاضطراب والصراع على النفوذ بين الوزراء والصدام بين مختلف قادة الجيش[7]، مما أثّر سلباً على النفوذ الفاطمي في بلاد الشام، الشام، فتراجع نفوذهم بها، وقامت ثورات متعددة ضدهم في دمشق وصور وفلسطين وغيرها[8]، فانشغلت السلطة الفاطمية بالقضاء على تلك الثورات، ولم تعر كثير اهتمام لمدّ نفوذها إلى حلب وشمال بلاد الشام، كما واجه الفاطميون في بلاد الشام حملات البيزنطيين التوسعية، واحتلال بعض المواقع التابعة للحكم الفاطمي، واستمرت حملاتهم تلك حتى

---

(1) الروذراوري، ذيل، ج3، ص219- 220؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص71- 72؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص171- 172.

(2) سبط ابن الجوزي، مرآة، ج18- 19، تح: محمد الخن، كامل الخراط، ص56؛ ابن تغري، النجوم، ج4، ص124.

(3) الأنطاكي، تاريخ، ص228- 229؛ الروذراوري، ذيل، ج3، ص220- 221؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص72- 73؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص172- 173؛ الأزدي، أخبار، ص56- 57؛ الدواداري، الدرة، ص237؛ ابن تغري، النجوم، ج4، ص124- 125.

(4) أخبار، ص57؛ بيطار، موقف أمراء العرب، ص243.

(5) الأنطاكي، تاريخ، ص233- 235؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص73- 74؛ المقريزي، إتعاظ، ج1، ص316.

(6) الروذراوري، ذيل، ج3، ص221؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص73-74؛ ابن العبري، غريغوريوس (ت، 685هـ/ 1286م)، تاريخ تاريخ مختصر الدول، تح: خليل منصور، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1997م، ص155؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص69، 71؛ المقريزي، إتعاظ، ج1، ص318؛ ابن تغري، النجوم، ج4، ص125.

(7) القضاعي، تاريخ، ص574- 575؛ الأنطاكي، تاريخ، ص237-239؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص74-81؛ الدواداري، الدرة، ص256- 257؛ المقريزي، إتعاظ، ج1، ص325-331.

(8) الأنطاكي، تاريخ، ص239- 241؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص82-84؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص71- 72.

سنة 390هـ/ 1000م عندما عقدت هدنة بينهم وبين الفاطميين لمدة عشر سنوات[1]. أما بالنسبة لحلب، فكانت بيد سعيد الدولة الحمداني، ومدبر دولته لؤلؤ السيفي الكبير، ولمّا كانت سنة 392هـ/ 1002م توفي سعيد الدولة مسموماً بتدبير من لؤلؤ نفسه، فخلفه ولداه أبو الحسن علي وأبو المعالي شريف ابني سعيد الدولة، فنصبهما لؤلؤ، وقبض على زمام الأمور دون أن يكون لهما أدنى سلطة، ولم يلبث لؤلؤ أن سيّرهما في سنة 394هـ/ 1003م إلى مصر مع حرم سعد الدولة، واستبد هو وابنه منصور بن لؤلؤ بالأمر[2]، ولكي يدعم مركزه في حكم حلب، ويبعد الفاطميين عن التوجه التوجه نحوها، عمل على التقرب منهم، فأقام الخطبة للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، ولمّا توفي لؤلؤ في ذي الحجة سنة 399هـ/ أب 1009م، خلفه ابنه منصور بن لؤلؤ الذي تابع سياسة والده في التقرب من الخلافة الفاطمية، فاعترف بسلطان الخليفة الفاطمي بحلب، وذكر اسمه في الخطبة، وضرب السكة باسمه[3]، غير أنه كان بخلاف أبيه في إدارة حلب، إذ تميز حكمه بالظلم والقسوة، فكرهه أهلها وقبيلة كلاب صاحبة النفوذ فيها آنذاك، وأرادوا إعادة حكمها لأحد أفراد الأسرة الحمدانية، فراسلوا أبا الهيجاء بن سعد الدولة الحمداني[4] الذي كان لاجئاً في بلاد الروم، ووعدوه المساعدة، فلبى طلبهم، وجاء حلباً قاصداً فتحها في سنة 400هـ/ 1009م، ولكنه أخفق في أخذها، فما الأسباب التي أدت إلى هزيمته؟.

إن إخفاق محاولة أبي الهيجاء تعود لعاملين مترابطين، أولهما هو تخلي العرب من بني كلاب عنه بعد أن راسلهم منصور ابن لؤلؤ، ووعدهم بالإقطاعات الكبيرة خارج حلب، ويعود ثانيهما لتحرك الفاطميين لإنجاد منصور، وكان قد راسل الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله طالباً النجدة ضد أبي الهيجاء الحمداني، فاشترط الحاكم عليه أن يقيم والياً من قبله بحلب، وأنفذ إليه عسكراً كثيفاً من طرابلس، فانهزم أبو الهيجاء، وعاد إلى القسطنطينية، وبقي فيها حتى مات[5]، لكن منصوراً لم يفِ بوعوده لقبيلة كلاب، ولا للخليفة الفاطمي بإقامة وال فاطمي في حلب، مما أثار غضب ذلك الخليفة، فأرسل في سنة 402هـ/ 1011م أبا المعالي شريف بن سعيد الدولة الحمداني على رأس جيش فاطمي من مصر لفتح حلب، لكنه لم يصل إليها، لأنه عندما وصل معرة النعمان[6] أرادت العرب الغدر به، وتسليمه إلى منصور بن لؤلؤ، فخلّصه بعض القادة الفاطميين، وأعادوه إلى مصر، فمات فيها، وبذلك أخفقت محاولة الخلافة الفاطمية في وضع حلب تحت الحكم الفاطمي المباشر، وإقصاء منصور بن لؤلؤ عن حكمها. ويبدو أن منصور لم يستمر طويلاً معادياً للخلافة الفاطمية، بل توصل إلى حل لمشاكله مع الخليفة الحاكم بأمر الله، فكتب له ذلك الخليفة في رمضان

---

(1) الأنطاكي، تاريخ، ص248؛ الروذراوري، ذيل، ج3، ص230؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص90؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص480.

(2) الأنطاكي، تاريخ، ص314؛ العظيمي، محمد (ت، 556هـ/ 1161م)، تاريخ حلب، تح: إبراهيم زعرور، دمشق، 1984م، ص316؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص174. Salibi, Syria, p. 98.، "من الأهمية الإشارة إلى أن الدولة الحمدانية بحلب في عهود سعيد الدولة وابنيه أبي الحسن وأبي المعالي كانت تعترف بالخلافة الفاطمية، وتضرب النقود وعليها اسم الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله"؛ السامر، الدولة الحمدانية، ج2، ص238– 240.

(3) ابن العديم، زبدة، ج1، ص177؛ بيطار، موقف أمراء العرب، ص235.

(4) أبو الهيجاء بن سعد الدولة الحمداني: هو الابن الثاني والأصغر لسعد الدولة، كان يعيش في حلب، ولما توفي أخوه سعيد الدولة مسموماً بتدبير لؤلؤ السيفي الكبير الذي استولى على الأمور فيها، وسيّر ولدي سعيد الدولة إلى مصر، خاف أبو الهيجاء على نفسه، فهرب لاجئاً إلى بلاد الروم، فمنحه الإمبراطور البيزنطي لقب "الماخسطرس"؛ الأنطاكي، تاريخ، ص315؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص178؛ الأزدي، أخبار، ص54.

(5) الأنطاكي، تاريخ، ص315– 317؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص177– 179. Salibi, Syria, p. 99.

(6) معرة النعمان: مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة؛ الحموي، معجم البلدان، مج5، ص156.

سنة 404هـ/ 1013م "سجلاً وقرئ في القصر بالقاهرة، بتمليكه حلب وأعمالها، ولُقب فيه بمرتضى الدولة"[1]، وفي هذا ما يفيد أن حلب صارت بحكم التابعة للخلافة الفاطمي. غير أن منصوراً لم يستمر طويلاً بحكمها بسبب دخوله في صدام مع بني كلاب الذين غدر بهم، ولم يعطهم الإقطاعات التي وعدهم بها، فحاربوه بقيادة صالح بن مرداس، وهزموه وضيقوا عليه، لكن الضربة القاضية التي أنهت حكمه لحلب جاءت من قبل فتح القلعي الذي كان يلي القلعة، واتهمه بممالأة صالح بن مرداس، وعزم على عزله عنها، فأعلن فتح الثورة عليه في 24 رجب سنة 406هـ/ 7 كانون الثاني 1016م، وأعلن في الوقت نفسه عن ولائه لصالح بن مرداس والخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، وإثر ذلك فرّ منصور بأسرته لاجئاً إلى البيزنطيين، فيما اقتسم فتح القلعي حكم حلب بينه وبين صالح بن مرداس، وكتب إلى والي أفامية الفاطمي علي بن أحمد المشهور بلقب الضيف[2] يدعوه للقدوم بقواته إلى حلب، فأسرع إليها، وتسلم المدينة، فيما بقي فتح القلعي في قلعتها، وكتب إلى الخليفة الفاطمي معلناً عن ولائه، وهو الأمر الذي تقبله الحاكم بأمر الله بكل سرور، وشكره عليه، ومنحه لقب "مبارك الدولة وسعيدها"، وكتب إلى صالح بن مرداس يأمره بالاتفاق مع الضيف وفتح القلعي، ومنحه لقب "أسد الدولة"[3]، وبهذا الحدث تكون حلب قد صارت تحت الحكم الفاطمي المباشر لأول مرة في تاريخها، وغدت ولاية تابعة لهم، ولتثبيت الحكم الفاطمي فيها، قام الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بعدة إجراءات في سبيل ذلك، فما هي تلك الإجراءات؟.

عمل أولاً على التقرب من أهل حلب، فألغى عدداً من الضرائب، وأعفاهم من دفع خراج سنة 407هـ/ 1017م، وهو الأمر الذي ترك أثراً طيباً في نفوسهم، فتظاهروا تحت القلعة معلنين رغبتهم في الحكم الفاطمي، ورفضهم لحكم البادية الذي يمثله صالح بن مرداس وقبيلة كلاب، وعرض الخليفة الفاطمي على فتح القلعي أن يعطيه إذا سلّم قلعة حلب للقوات الفاطمية صور وصيدا وبيروت إقطاعاً له مدى الحياة بالإضافة إلى جميع ما في تلك القلعة من أموال، ومن جانب ثالث استجاب لطلب الضيف بإمداده بالعساكر، فورد عليه كل وال بالشام برجاله لتقديم العون له، وكتب إلى حسان بن المفرج[4] أمير قبيلة طيء، وإلى سنان بن عليان[5] أمير قبيلة كلب أن يتحركا بعشيرتيهما نحو حلب

---

[1] ابن العديم، زبدة، ج1، ص179.

[2] أبو الحسن علي بن أحمد العجمي المعروف بالضيف: والي الفاطميين على أفامية، وهو من قوادهم الذين شغلوا دوراً كبيراً في السيطرة على حلب في سنة 406هـ/ 1016م، و413هـ/ 1022م، وفي سنة 415هـ/ 1024م كانت ولاية فلسطين قد ردّت إليه، وهو بمصر، فحاول تحريض حسان بن الجراح الطائي للعبث فيها لتدعو الضرورة إلى سيره إليها، فقتل بسبب ذلك؛ الأنطاكي، تاريخ، ص323- 326، 377- 378، 390- 391؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص188- 189، 190، 194.

[3] الأنطاكي، تاريخ، ص317- 325؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص322؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص577- 578؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص180- 189؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص140؛ ابن الشحنة، محمد (ت، 890هـ/ 1485م)، الدُّرُ المنتخب، تح: عبد الله الدرويش، دار الكتاب العربي، دمشق، 1984م، ص55.

[4] حسان بن مفرّج بن دغفل بن الجراح الطائي: أمير بادية الشام، كانت إقامته بالرملة، خلف أباه على الإمارة بعد وفاته سنة 404هـ/ 1013م، بسط نفوذ قبيلته طيء على جنوب فلسطين، وحاول إبعاد الفاطميين عن منطقته، غير أنه هُزم، ولجأ إلى البيزنطيين، ولم يلبث أن عاد إلى فلسطين، وبقي يذكر اسمه حتى سنة 433هـ/ 1049م، وبعد ذلك غاب ذكره؛ الزركلي، الأعلام، ج2، ص177؛ بيطار، موقف أمراء العرب، ص87.

[5] سنان بن عليان بن البنا الكلبي: أمير قبيلة كلب في منطقة دمشق، تميز بمواقفه المناهضة للنفوذ الفاطمي، وبقي أميراً على العرب الكلبيين حتى توفي سنة 419هـ/ 1028م فعقد الخليفة الفاطمي الظاهر الإمارة على الكلبيين لرافع بن أبي الليل بن عليان - ابن أخي سنان؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص327- 328؛ الأنطاكي، تاريخ، ص390- 392، 401، 410؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص24، 26- 27؛ بيطار، موقف أمراء العرب، ص149، 153-154. Salibi, Syria, p. 99-100.

لحفظها، وتقديم العون للقوات الفاطمية فيها[1]، وفي هذا ما يدل على الأهمية الكبيرة التي كانت توليها الخلافة الفاطمية للسيطرة على حلب، وإخضاعها لحكمها المباشر، وإثر ذلك وافق فتح القلعي على تسليم قلعة حلب، فنزل منها، وتوجه إلى صور، وسيّر الخليفة الفاطمي أول والٍ فاطمي هو فاتك بعد أن خلع عليه، ومنحه لقب "أمير الأمراء، عزيز الدولة"، فدخل حلب في يوم الأحد الثاني من رمضان سنة 407هـ/ 3 شباط 1017م[2]. وقد تميز فاتك بإدارته الناجحة، إذ ضبط أمور المدينة، وأنهى جميع المشاكل مع صالح بن مرداس أمير قبيلة كلاب القوية الذي كان يعارض الوجود الفاطمي في حلب، كما راسل الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني الذي كان مستاءً من سيطرة الفاطميين على حلب، ومنع السفر والمتاجرة بين بلاده ومصر والشام احتجاجاً عليهم، وأرضاه، فسمح ذلك الإمبراطور باستئناف المتاجرة بين بيزنطة وحلب، وعمل عزيز الدولة على تقوية مركزه في حلب، فأعاد بناء قصر الإمارة تحت القلعة ليكون على اتصال مباشر بها، وزاد في دفاعات القلعة، وأمر بعمارة قناديل من الفضة للمسجد الجامع، وقد أغضبت تصرفات فاتك الخليفة الفاطمي، لكنه لم يكن قادراً على اتخاذ أية خطوة مباشرة ضده، لأن عزيز الدولة بعدما تسلم المدينة كان قد أقنع قادة القوات الفاطمية بالانسحاب منها والعودة إلى مناطقهم السابقة، وولى ولاة من قبله عليها، ولم يحاول عزيز الدولة مصالحة الخليفة الفاطمي، بل عصى عليه، فأعلن الاستقلال[3]، وضرب النقود باسمه، ودعا لنفسه على المنابر، مما دفع الحاكم بأمر الله إلى تجهيز الجيوش ضده في سنة 411هـ/ 1021م، ولكن قبل أن تتحرك تلك الجيوش، فُقد ذلك الخليفة[4]، وصار الحكم إلى ابنه الصغير الظاهر لإعزاز دين الله، ما أعطى فاتكاً حالة من الاطمئنان والثقة، واحتاط لنفسه باختيار حراسه من الأشخاص الموثوقين، وازدادت ثقته بما وصل إليه من هدايا وخلع من خلافة القاهرة[5].

5- حلب في السياسة الفاطمية في عهد الظاهر لإعزاز دين الله (411- 427هـ/ 1021- 1036م): وصل الظاهر لإعزاز دين الله إلى الحكم، وعمره ست عشرة سنة، فتولت إدارة الدولة عمته ست الملك التي صارت بيدها شؤون الدولة[6]، وقد أزعجها خروج فاتك والي حلب على الطاعة، فعملت أولاً على ملاطفته، وأرسلت إليه هدايا وخلع حتى عاد إلى الولاء الفاطمي، ثم أخذت تعمل الحيلة حتى أفسدت ما بين فاتك وأبي النجم بدر التركي[7] كبير غلمانه

---

(1) الأنطاكي، تاريخ، ص325- 326؛ ابن العديم، زبدة، ج1، 185، 190.

(2) ابن العديم، زبدة، ج1، ص190- 191؛ (كان عزيز الدولة فاتك من أصل أرمني، ومولى لمنجوتكين).

(3) الأنطاكي، تاريخ، ص324، 327؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص192؛ ابن الشحنة، الدُّرُّ المنتخب، ص55؛ الشيخ، الإمارات العربية، ص97.

(4) اختفى الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله بطريقة يكتنفها الغموض، إذ تذكر المصادر أنه خرج من القاهرة إلى جبل المقطم في ليلة 27 شوال سنة 411هـ/ 13 شباط عام 1021م، ولم يعد بعدها، ويظهر أن عملية اغتياله كانت بتدبير ست الملك أخت الحاكم الكبرى بالاتفاق مع الحسين بن علي بن دواس الكتامي أحد مقدمي كتامة؛ الأنطاكي، تاريخ، ص359- 363؛ المقريزي، إتعاظ، ج1، ص396- 397؛ ابن تغري، النجوم، ج4، ص187-194؛ سيد؛ أيمن، الدولة الفاطمية في مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2007م، ص179- 180.

(5) الأنطاكي، تاريخ، ص359-365، 376؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص193.

(6) المقريزي، إتعاظ، ج2، ص3-6؛ ابن العبري، تاريخ مختصر، ص157؛ ست الملك ابنة العزيز بالله أبي منصور نزار بن المعز لدين الله: أخت الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله الكبرى، كانت امرأة حازمة واسعة الإدراك، اتهمت بأنها هي التي دبرت اغتيال أخيها الخليفة الحاكم بسبب تصرفاته المتناقضة، وأمنت انتقال الحكم بشكل هادئ لابنه الظاهر لإعزاز دين الله، وسيطرت على أمور الدولة حتى توفيت في سنة 415هـ/ 1025م؛ المقريزي، إتعاظ، ج1، ص396- 397؛ ج2، ص3-6، 40؛ ابن تغري، النجوم، ج4، ص187-198.

(7) أبو النجم بدر التركي: يعرف ببدر الكبير، كان مملوكاً لبنجوتكين مولى عزيز الدولة فاتك، فلما تقدم عزيز الدولة قرّبه وولّاه القلعة بحلب؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص194؛ ابن تغري، النجوم، ج4، ص195.

الذي كان يلي له قلعة حلب، فدّبر اغتيال فاتك في يوم السبت 4 ربيع الآخر سنة 413هـ/ 7 تموز 1022م، وكتب بدر إلى خلافة القاهرة بما حدث، فتظاهرت بالحزن لما حصل لعزيز الدولة فاتك، وعينت بدراً مكانه، فاستمر يتولاها حتى وردت العساكر الفاطمية من قبل الظاهر بقيادة علي بن أحمد المعروف بالضيف، فتلطف ببدر حتى تسلم البلد منه والقلعة ثم اعتقله[1]، وعادت الخلافة الفاطمية لتعين ولاة من قبلها على حلب، ففي 11 رجب 413هـ/ 10 تشرين الأول 1022م وصل إلى حلب واليان هما: صفي الدولة أبو عبد الله محمد بن علي بن جعفر بن فلاح، وهو من قادة قبيلة كتامة، وقد ولّي المدينة، أما الثاني فهو يمن الدولة سعادة الخادم المعروف بالقلانسي، وعيّن على القلعة، وهكذا يظهر أن الخلافة الفاطمية قد اتعظت من عصيان عزيز الدولة فاتك، ولذلك لم تعين والياً واحداً لحلب، بل جعلت واليين معاً، أحدهما للمدينة، والآخر للقلعة[2]، كما أنها لم تجعل التعيين يستمر طويلاً، وفي إطار هذه السياسة صرف صفي الدولة عن ولايته في 15 محرم 414هـ/ 10 نيسان 1023م، وعيّن مكانه قائداً فاطمياً آخر هو سند الدولة أبو محمد الحسن بن محمد بن ثعبان الذي كان يلي أفامية، ونقل إلى حلب، فاستمر يتولاها حتى توفي فيها بسبب مرض لحق به في يوم الخميس 21 ربيع الآخر 415هـ/ 2 تموز 1024م، فبعثت الخلافة الفاطمية أخاه سديد الملك ثعبان ليحل مكانه، وعينت في الوقت نفسه أبا الحارث موصوف الخادم الصقلبي والياً على القلعة[3]، ولكن حكم ذينك الواليين الواليين لم يستمر طويلاً، بسبب تحرك صالح بن مرداس أمير قبيلة كلاب الذي تمكن من أخذ حلب منهما في السنة نفسها التي توليا فيها، فبدأ بذلك حكم آل مرداس في حلب الذي استمر سبعاً وخمسين سنة[4]، وانتهى الحكم الفاطمي المباشر لها بعدما استمر تسعة سنوات، فما الأسباب التي أدت إلى عدم استمرار ذلك الحكم فيها؟.

بدون شك تأثر الحكم الفاطمي المباشر لحلب بأوضاع الخلافة الفاطمية المضطربة إثر غياب الخليفة الحاكم بأمر الله، وانتقال السلطة إلى ابنه الصغير الظاهر لإعزاز دين الله، وما رافق ذلك الانتقال من اضطرابات وأحداث انشغلت الخلافة الفاطمية بها[5]، ما انعكس سلباً على نفوذها في حلب، وهو الأمر الذي استغله صالح بن مرداس أيما استغلال استغلال للاستيلاء عليها، ومن جانب أخر اضطراب أوضاع حلب عقب مقتل عزيز الدولة فاتك، وما تبع ذلك من عدم استقرار فيها بسبب سوء سياسة الولاة الفاطميين فيها[6]، ولعل السبب الأبرز يعود إلى تحالف قبائل بلاد الشام فيما فيما بينها ضد الوجود الفاطمي فيها، فقد اجتمع حسان بن المفرج أمير قبيلة طيء مع سنان بن علیان أمير قبيلة كلب، وصالح بن مرداس أمير بني كلاب في سنة 414هـ/ 1025م، وعقدوا حلفاً فيما بينهم يقضي باقتسام بلاد الشام فيما بينهم، بحيث تكون فلسطين لقبيلة طيء، ودمشق ومنطقتها لقبيلة كلب، وحلب وما معها لبني كلاب، وعقب عقد ذلك التحالف، تحركت قوات القبائل المتحالفة، وأوقعت الهزيمة بالقوات الفاطمية في فلسطين التي كانت بقيادة أنوشتكين

---

[1] المسبحي، محمد (ت، 420هـ/ 1029م) أخبار مصر، ج40، تح: أيمن سيد وتياري بيانكي، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، 1978م، ص44؛ الأنطاكي، تاريخ، ص377- 378؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص193- 194؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص7-8؛

[2] ابن العديم، زبدة، ج1، ص194- 195؛ بغية، مج1، ص53؛ مج9، ص4232؛ الدواداري، الدرة، ص216؛ ابن الشحنة، الدُرُّ المنتخب، ص55.

[3] المسبحي، أخبار مصر، ص43- 44، 96؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص195- 196؛ بغية، مج9، ص4161؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص141؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص20- 21.

[4] العظيمي، تاريخ حلب، ص326؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص197؛ بغية، مج1، ص545.

[5] تمثلت تلك الاضطرابات والأحداث في استدعاء ولي العهد عبد الرحيم بن إلياس من دمشق، والتخلص منه، فيما هرب ابن ولي العهد الكبير عبد العزيز حين القبض على والده بدمشق لاجئاً إلى صالح بن مرداس في حلب، واستتبع ذلك تصفية كبار القادة الفاطميين الذين يُخشى بأسهم؛ الأنطاكي، تاريخ، ص367- 368؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص113- 114؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص4-6.

[6] المسبحي، أخبار مصر، ص44؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص580؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص20.

الدزبري[1]، وبُعيدها عاد صالح بن مرداس إلى حلب، فحاصرها بقواته حتى دخلها في يوم السبت 13 ذي القعدة سنة 415هـ/ 18 كانون الثاني 1025م، فيما اعتصمت القوات الفاطمية بالقلعة والقصر الملاصق لها، فحاصرتها قوات صالح بن مرداس حتى تمكنت من الاستيلاء عليها في يوم الأربعاء الأول من جمادى الأولى سنة 416هـ/ 30 حزيران 1025م، ولما استولت عليها، سمحت لجميع القوات الفاطمية الذين كانوا فيها بالانسحاب بأهاليهم وأقربائهم، فيما تمّ القبض على موصوف الخادم، وسديد الملك ثعبان بن محمد، أما ثعبان، ففدى نفسه بمال دفعه لصالح، فأطلق سراحه، أما موصوف الخادم، فتخلص منه[2]، كما أطلق صالح الداعي الفاطمي الذي في حلب، واسمه "أبو هلال"[3].

وعلى الرغم من كل الأعمال التي قام بها صالح بن مرداس ضد الخلافة الفاطمية، غير أنه لم يلغ الدعوة للخليفة الفاطمي بعدما سيطر على حلب، بل سارع إلى إرسال موفد إلى القاهرة، فأعلن الخليفة الظاهر قبوله بالحكم المرداسي، وزاد في ألقاب صالح، وأرسل إليه خلعاً جليلة وأطواق ذهب له ولأولاده، وضرب صالح نقوده الخاصة به، وطبع عليها اسمه واسم الخليفة الفاطمي الظاهر[4]، ولكن الخلافة الفاطمية لم تكن راضية عما حدث في بلاد الشام، فما إن استقرت استقرت الأمور للخليفة الظاهر لإعزاز دين الله حتى قرر القضاء على حركة القبائل فيها، واسترجاع بلاد الشام عامة، ومنها حلب إلى السيطرة الفاطمية، وفي سبيل ذلك أرسل جيشاً بقيادة أنوشتكين الدزبري، فأوقع الهزيمة بحسان بن المفرج وصالح بن مرداس في معركة الأقحوانة[5] في ربيع الآخر سنة 420هـ/ 1029م، وفيها قتل صالح بن مرداس، وفي إثرها استعادت الخلافة الفاطمية السيطرة على جنوب بلاد الشام[6]، ولكن حلب بقيت بيد أبناء صالح، فملك المدينة شبل الدولة نصر بن صالح الناجي من الأقحوانة، فيما ملك أخوه ثمال القلعة[7].

أراد البيزنطيون استغلال مقتل صالح بن مرداس للسيطرة على حلب، وذلك خشية أن يعجز ابني صالح عن الاحتفاظ بها، وأن تستولي عليها الخلافة الفاطمية، فزحف حاكم أنطاكية البيزنطي بحملة ضدها، ولكنه هزم أمام قوات ابني صالح[8]، مما أغضب الإمبراطور رومانوس الثالث[1]، فقاد حملة انتقامية كبيرة لغزو شمال بلاد الشام، ومعاقبة إمارة

---

(1) المسبحي، أخبار مصر، ص44، 49؛ الأنطاكي، تاريخ، ص390– 392؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص579؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص196، 198؛ بغية، مج5، ص2239– 2241؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص20، 24، 26؛ أنوشتكين الدزبري: هو الأمير المظفر، أمير الجيوش أبو منصور أنوشتكين الختني وقيل الختلي، أصله تركي من بلاد ما وراء النهر، حُمل منها إلى بغداد ثم إلى دمشق، فاشتراه دزبر بن أونيم الديلمي المعروف بأمير الجيوش، ثم دخل في خدمة الخليفة الحاكم بأمر الله، فعُيّن والياً على بعلبك ثم على قيسارية ثم على فلسطين، ثم عيّن قائداً للقوات الفاطمية في بلاد الشام في عهد الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، توفي بحلب سنة 433هـ/ 1041م؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق؛ ص116– 126، (جعل وفاته سنة 436هـ)؛ ابن عساكر، تاريخ، ج9، ص390، (ترجم له باسم أنوجور)؛ الصفدي، تحفة، ص338– 339؛ المقريزي، المقفى، ج2، ص302– 304.

(2) المسبحي، أخبار مصر، ص44، 89؛ الأنطاكي، تاريخ، ص392–401؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص197– 199؛ بغية، مج5، ص2239؛ مج9، ص4161– 4162؛ ابن الأثير، الكامل، ج7، ص580، (جعل دخول صالح إلى حلب سنة 414هـ)؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص37– 38.

(3) الأنطاكي، تاريخ، ص401؛ (وقد انفرد الأنطاكي بإيراد تلك المعلومة عن وجود داعي فاطمي في حلب).

(4) الأنطاكي، تاريخ، ص402؛ زكار، إمارة حلب، ص81– 82.

(5) الأقحوانة: موضع بالأردن من أرض دمشق على شاطئ بحيرة طبرية؛ الحموي، معجم البلدان، مج1، ص234.

(6) الأنطاكي، تاريخ، ص410– 411؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص118– 119؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص200– 201؛ بغية، مج5، ص2240– 2241؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص130– 131؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص41– 42؛ ابن تغري، النجوم، ج4، ص252–253.

(7) ابن العديم، زبدة، ج1، ص204؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص42؛ المقفى، ج2، ص643.

(8) الأنطاكي، تاريخ، ص412؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص204.

حلب في سنة 421هـ/ 1030م، فتصدى له نصر وثمال ابنا صالح، وأوقعا به الهزيمة، فانسحب خائباً، ولمّا عادا إلى حلب، استولى نصر على القلعة، مضافاً إلى المدينة، وانفرد بحكم الإمارة[2]، ثم أراد أن يحافظ على إمارته من القوتين المتنافستين والطامحتين بالسيطرة عليها، وهما الإمبراطورية البيزنطية والخلافة الفاطمية، أما الإمبراطورية البيزنطية، فعلى الرغم من انتصاره عليها، راسلها في سنة 422هـ/ 1031م، فأظهر لها الطاعة، وطلب الحماية، وتعهد بدفع جزية سنوية مقدارها خمسمئة ألف درهم[3]، فأعلن الإمبراطور البيزنطي أن نصر بن صالح قد أصبح من أتباع الإمبراطورية البيزنطية، وأنه يتعهد بحمايته ضد أي عدوان، وأبلغ الخلافة الفاطمية بذلك، وغدت مسألة حلب موضع خلاف بين بيزنطة والخلافة الفاطمية في المفاوضات التي بدأت بينهما من أجل الصلح في سنة 423هـ/ 1031م[4]، وقد استمرت عدة سنوات، ولم توقع الهدنة بينهما حتى تمّ حذف الشرط المتعلق بحلب، فوقعت الهدنة لمدة عشر سنوات في سنة 427هـ/ 1036م[5]، وبموجبها لم تعد حلب تحت حماية الإمبراطورية البيزنطية، مما أعطى الفرصة للخلافة الفاطمية للتوجه نحوها والاستيلاء عليها.

أما بالنسبة لسياسة نصر بن صالح تجاه الخلافة الفاطمية، فبعد انتصاره على البيزنطيين، وربما بعد توقيع اتفاقية التبعية معهم، بعث برسول من قبله إلى القاهرة للمصالحة، ودعم مركزه في حلب، وحمّله بكميات من الهدايا مما غنمه من البيزنطيين، ولكن الخلافة الفاطمية لم تحتفِ بذلك الرسول بسبب حنقها على نصر بن صالح لموالاته للبيزنطيين، ودخوله تحت التبعية لهم، في الوقت الذي كانت تطمح فيه تلك الخلافة لبسط نفوذها على حلب، ولذلك لم يستقبل الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله الرسول المرداسي، بل أهمله وربما اعتقله، فبقي في مصر أكثر من خمس سنوات حتى توفي ذلك الخليفة في منتصف شعبان سنة 427هـ/ حزيران 1036م دون أن يلقاه[6]، وفي هذا ما يظهر سخط الخليفة على اعتراف حلب بالتبعية للبيزنطيين، لكن تلك التبعية لم تستمر طويلاً، بل انتهت في سنة 426هـ/ 1035م بقيام نصر المرداسي بطرد نائب الروم بحلب ثم هزيمته للحملة البيزنطية التي جاءت ضده عقب ذلك، فحقق بذلك النصر الاستقلال التام لحلب عن البيزنطيين[7]، فيما دخل بطاعة الفاطميين، وسك العملة، وعليها اسم الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله[8].

6- حلب في السياسة الفاطمية في عهد المستنصر بالله (427- 487هـ/ 1036- 1094م): خلف المستنصر بالله والده الظاهر بالله، وعمره سبع سنوات، وقد امتد حكمه ستين عاماً[9]، وقد وصلت الدولة الفاطمية إلى أقصى

---

[1] رومانوس أرجيروس الثالث: كان من كبار النبلاء في القسطنطينية، خلف الإمبراطور قسطنطين الثامن على العرش الإمبراطوري في سنة 1028م، واستمر حكمه ست سنوات حتى اغتيل سنة 1034م؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص723- 728؛ فرح، تاريخ بيزنطة، ص242.

[2] الأنطاكي، تاريخ، ص413- 418؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص205- 210؛ ابن الشحنة، الدُّرُ المنتخب، ص56؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص42- 43؛ المقفى، ج2، ص643؛ (استاء ثمال من تصرف أخيه، ثم اتفقا على اقتسام حكم الإمارة، بحيث يكون لنصر حكم حلب، ولثمال الرحبة وبالس).

[3] الأنطاكي، تاريخ، ص418، 422؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص330؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص211.

[4] الأنطاكي، تاريخ، ص436؛ العريني، الدولة البيزنطية، ص785- 787.

[5] العظيمي، تاريخ حلب، ص332؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص44.

[6] ابن العديم، زبدة، ج1، ص211؛ زكار، إمارة حلب، ص98- 99.

[7] ابن الأثير، الكامل، ج7، ص771؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص159.

[8] زكار، إمارة حلب، ص102.

[9] ابن خلكان، وفيات، ج5، ص229- 230؛ الدواداري، الدرة، 342- 343.

اتساع لها في العشرين عاماً الأولى من حكمه ثم هوت في انحدار سريع، وتقلصت عنها ممتلكاتها تدريجياً، وقد نالت حلب حيزاً كبيراً من اهتمامه واهتمام إدارته، فقد قام بعدما تولى الخلافة في سنة 427هـ/ 1036م، باستقبال رسول إمارة حلب المرداسي، وخلع عليه، وسيّر معه خلعاً لنصر بن صالح، ومنح له ولاية حمص وأعمالها، وبذلك صار الأمير المرداسي يحكم إمارته بحلب بصفته تابعاً للخليفة الفاطمي المستنصر بالله الذي حصل على رضاه، غير أن بعض الولاة الفاطميين في بلاد الشام استاؤوا من تصالح الأمير المرداسي مع الخلافة الفاطمية، وعلى رأسهم أنوشتكين الدزبري والي دمشق، فأخذ في معاداة أصحاب نصر ابن صالح، وزاد في عداوته ما قام به جعفر بن كليد[1] والي حمص الذي خسر ولايته لصالح أمير حلب، فأخذ في إغراء الدزبري لقتاله، وهو الأمر الذي لقي استحساناً من الدزبري، فأخذ يضع الخطط لانتزاع حلب من نصر بن صالح، وحشد جميع القوات الفاطمية في بلاد الشام، وجنّد عدداً كبيراً من المقاتلين من قبيلتي كلب وطيء، كما حرّض جماعة من قبيلة كلاب للانضمام إلى جيشه، ثم زحف بقواته وحلفائه شمالاً قاصداً حماة، فما صدى تحركه لدى أمير حلب المرداسي؟.

لمّا علم نصر المرداسي بحملة الدزبري، جمع قواته واتجه جنوباً حيث التقى بجيش الدزبري قرب حماة في معركة غير متكافئة في منتصف شعبان سنة 429هـ/ 22أيار 1038م، وفيها قتل نصر فيما فرّ أخوه ثمال بن صالح نحو حلب، ولكنه لم يتمكن من الاحتفاظ بها، بل فرَّ باتجاه الجزيرة وبرفقته أسرته وأسرة أخيه المقتول، بعد أن ترك نواباً من قبله على إدارتها[2]، ولكن لم يطل الوقت حتى سقطت حلب بيد القوات الفاطمية في يوم السبت 4 رمضان 429هـ/ 9 حزيران 1038م، ثم سيطرت على القلعة في 22 رمضان/ 27 حزيران، وبذلك عادت حلب لتخضع للحكم الفاطمي المباشر للمرة الثانية، واتحدت بلاد الشام بأكملها بيد وال فاطمي واحد هو أنوشتكين الدزبري الذي اتخذ من دمشق مقراً له، وقد عمل على توطيد النفوذ الفاطمي في حلب، فقام بإخراج جميع عساكر المرداسيين وأتباعهم من المدينة، وأحسن إلى أهلها، وردَّ إليهم كل ما كان صالح بن مرداس قد اغتصبه من أملاكهم، وعيّن ولاة من قبله على القلعة والمدينة، وسيطر على منبج وبالس لقطع الطريق على ثمال المرداسي للعودة إليها[3]، فما صدى دخول الدزبري إلى حلب لدى الخلافة الفاطمية؟.

أرسلت الخلافة الفاطمية للدزبري بعدما دخل حلب سجلاً باسم الخليفة المستنصر، وفيه يمنحه حكم مدينة حلب، ولكن فتحه لها جاء دون موافقة الوزير علي بن أحمد الجرجرائي[4] وزير الخليفة المستنصر لأنه لم يكن برأيه[5]، ومع أن بعض المصادر أرجعت موقف ذلك الوزير إلى الحسد، ولأن الدزبري خالف الأوامر الصادرة عن حاضرة الخلافة بإبعاد

---

[1] شجاع الدولة جعفر بن كليد الكتامي: والي حمص من قبل الفاطميين، كان من المناهضين لبني مرداس في حلب، فشارك في الحملات ضدهم، قتل بأيدي القوات المرداسية سنة 440هـ/ 1048م؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص213، 223- 225؛ المقريزي، المقفى، ج1، ص251؛ ج3، ص358.

[2] العظيمي، تاريخ حلب، ص332-333؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص211- 214؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص134؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص141؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص46؛ Salibi, Syria, P.111-112

[3] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص121؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص333؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص215-217؛ النويري، نهاية الأرب، الأرب، ج28، ص135.

[4] علي بن أحمد الجرجرائي: تولى الوزارة في عهد الظاهر سنة 418هـ/ 1027م، واستمر في منصبه بقية عهد الظاهر ثم في عهد المستنصر بالله حتى توفي سنة 436هـ/ 1044م؛ المقريزي، إتعاظ، ج1، 388- 389؛ ج2، ص41، 48؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص253- 254.

[5] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص121؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص219.

كاتبه الذي يميل إلى غير الفاطميين، ويحاول إبعاد سيده عنهم[1]؛ ولكن من المرجح أن موقف الجرجرائي يعود إلى ازدياد نفوذ الدزبري بعد ما سيطر على حلب، ووحد بلاد الشام بكاملها تحت نفوذه، فخشي ذلك الوزير خروجه عن الطاعة والاستقلال بها، قال ابن الأثير: "وقد كان [الدزبري] كبيراً على مخدومه بما يراه من تعظيم الملوك له، وهيبة الروم منه"[2]، لذلك كان ذلك الوزير ضد استيلاء الدزبري على حلب، ويريد الإبقاء على الحكم المرداسي بحلب، والاكتفاء منه بتقديم فروض الطاعة والولاء، فوصف الدزبري ذلك الوزير بالخرف، مما أغضب الوزير الجرجرائي، فكاتب جميع ولاة مدن الشام وعمالها بترك الانقياد والطاعة للدزبري، وكتب توقيعاً باسم الخليفة المستنصر بالله إلى ثمال بن صالح بمنحه ولاية حلب، وحرّض جنود القوات الفاطمية في دمشق للعصيان على الدزبري، ما اضطره للهرب منها إلى حلب في ثلة قليلة من غلمانه، وفيها توفي في منتصف جمادى الأولى سنة 433هـ/ 10 كانون الثاني 1042م، وفي الشهر الثاني لوفاته عاد ثمال بن صالح إلى حلب، فتسلم المدينة، وحاصر القلعة حتى استسلمت له[3]، وهكذا انتهى الحكم الفاطمي المباشر لحلب بعدما استمر نحو أربع سنوات، وعاد ملكها إلى بني مرداس ممثلاً بأميرهم ثمال بن صالح الذي عاد لحكمه بصفته والياً من قبل الخليفة الفاطمي المستنصر بالله الذي كتب له بولايتها مقابل تعهده بإرسال جميع الأموال التي في قلعتها إلى القاهرة، أي الأموال التي خلفها الدزبري، وكانت قيمتها ستمائة ألف دينار سوى الآلات والعدد، ولكن ثمال لم يرسل سوى مئتي ألف دينار إلى القاهرة، وتصرف ببقية الأموال، ما أدى إلى نشوب الخلاف بينه وبين الخليفة المستنصر بالله[4]، ولم يرفض إرسال ثمال بقية الأموال فحسب، بل توقف عن إرسال الأموال التي تعهد بدفعها سنوياً، ومقدارها عشرين ألف دينار سنوياً، وزاد في غضب الخلافة الفاطمية تحريض جعفر بن كليد والي حمص الذي أخذ يظهر مساوئ ثمال، ويسهل لها أمر أخذ حلب منه[5]، ويضاف إلى ذلك استياء الخلافة الفاطمية من علاقة ثمال الجيدة مع الإمبراطورية البيزنطية، واعترافه بسيادتها، وحصوله على ألقاب ومزايا منها له ولعدد من أفراد الأسرة المرداسية، واستمراره بدفع الجزية السنوية لها[6]، وقد اتخذت الخلافة الفاطمية مما تقدم مسوغاً مسوغاً لاستعادة حلب إلى الحكم الفاطمي المباشر، وإنهاء الحكم المرداسي فيها، فأرسل الخليفة المستنصر بالله حملة فاطمية نحوها بقيادة ناصر الدولة الحمداني[7] والي دمشق، فزحف نحوها بالقوات الفاطمية الموجودة في دمشق، ومعه قوات حمص، وبعض قبائل العرب، وهزم قوات ثمال المرداسي الذي أُجبر على التحصن داخل أسوار المدينة، فيما عسكر ناصر الدولة بقواته على ضفاف نهر قويق، ولكنه قبل أن يتحرك لحصار المدينة، تعرضت قواته لسيل جارف بسبب فيضان نهر قويق نتيجة الأمطار الغزيرة، ما أدى إلى هلاك عدد كبير من رجاله وخيله وعتاده، فاضطر للعودة

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص28؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص79، (اسم كاتب الدزبري هو: أبو سعد).

(2) الكامل، ج8، ص28.

(3) ابن العديم، زبدة، ج1، ص219- 221؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص121- 126، (جعل وفاة الدزبري في سنة 436هـ)؛ النويري، نهاية الأرب، ج28، ص135؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص47؛ ابن خلدون، تاريخ، ج4، ص79.

(4) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص127؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص222- 223؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص28- 29.

(5) ابن ميسر، محمد (ت، 677هـ/ 1278م)، أخبار مصر، ج2، تح: هنري ماسيه، العهد العلمي الفرنسي، القاهرة، 1919م، ص3؛ المقريزي، المقفى، ج1، ص251؛ ج3، ص358؛ إتعاظ، ج2، ص55.

(6) ابن العديم، زبدة، ج1، ص222- 223؛ زكار، إمارة حلب، ص113- 114.

(7) أبو محمد ناصر الدولة الحمداني، الحسن بن الحسين بن عبد الله: ولي دمشق مرتين: الأولى بين 433هـ/ 1042م، و440هـ/ 1048م، ثم ولّي عليها للمرة الثانية سنة 450هـ/ 1058م، واستمر عليها حتى سنة 452هـ/ 1060م؛ ابن عساكر، تاريخ، ج13، ص77؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص223- 224، 236- 241؛الصفدي، تحفة، ص340-341، (ترجم له باسم الحسين بن الحسن)؛ المقريزي، المقفى، ج3، ص354- 360.

إلى دمشق خائباً في 16 جمادى الأولى سنة 440هـ/ 28 تشرين الأول 1048م، وهكذا أخفقت تلك الحملة التي هدفت لجعل حلب تحت الحكم الفاطمي المباشر[1].

وعقب تلك الحملة، وخشية من إرسال حملة فاطمية جديدة للاستيلاء على حلب، بادر ثمال بن صالح على وجه السرعة بإرسال رسول إلى الخليفة الفاطمي المستنصر بالله ليطلب العفو والرضى منه، وتعهد أن يلتزم بإرسال الأموال التي وعد بها، وقد استطاع ذلك الرسول بمساعدة بعض شخصيات البلاط الفاطمي الوصول إلى تسوية، ولكن قبل أن يغادر ذلك الرسول القاهرة، وصل إلى بلاط الخلافة الفاطمية خبر مقتل جعفر بن كليد الوالي الفاطمي على حمص بأيدي القوات المرداسية التي استعادت السيطرة على معرة النعمان وعلى حماة وحمص من أيدي القوات الفاطمية، وقد كان لتلك الأخبار تداعيات كبيرة في بلاط القاهرة على الموقف من حلب، فاستدعى الخليفة الفاطمي رسول حلب المرداسي، وعاتبه على ما جرى[2]، ثم جرى الإعداد لحملة جديدة ضد حلب، لوضعها تحت الحكم الفاطمي المباشر، والانتقام لهزيمة قواته أمام المرداسيين، وفي سبيل ذلك جرى إعداد جيش كبير من المقاتلين، ووجه إلى حلب، بلغ تعداده ثلاثين ألفاً من المقاتلين، وعين المستنصر بالله أبا الفضل رفق بن عبد الله الخادم المستنصري قائداً له، وولّاه دمشق، ومنحه لقب "أمير الأمراء المظفر عدة الدولة وعمادها"، وخرج الخليفة بنفسه لتوديعه، وأمر جميع ولاة الفاطميين في بلاد الشام بإطاعة رفق الخادم، وتنفيذ أوامره[3]، وفي هذا ما يفيد أن الخليفة الفاطمي كان يعلق آمالاً كبيرة على أن أن تلك الحملة سوف تنجح في تحقيق هدفها، ولكن تلك الحملة لما وصلت إلى حلب في ربيع الأول سنة 441هـ/ آب 1049م، تصدى لها الحلبيون بقيادة ثمال وهزموها، وأصيب رفق الخادم بجراح، وأخذ أسيراً، فمات في قلعة حلب[4]، وبذلك أخفقت الحملة في تحقيق مبتغاها، فما الأسباب التي أدت إلى هزيمتها سريعاً؟.

تعددت الأسباب التي أدت إلى هزيمة حملة رفق الخادم، وفيما يأتي تفصيلها: فقد كان رفق الخادم رجلاً طاعناً في السن، ويتجاوز الثمانين عاماً، وقد عيّن قائداً للحملة، وهو كاره لذلك، ويظهر أنه لم يكن على دراية واسعة بالأمور العسكرية[5]، وكانت تشكيلة الجيش الذي يقوده يتألف من مجموعات غير متوافقة، فقد كان فيه المشارقة والمغاربة والعبيد، ولمّا وصل بلاد الشام، أرغم على إدخال عدد من المرتزقة العرب ضمن حملته من كلب وطيء وغيرهما، وكثيراً ما كانت تتصادم تلك المجموعات، مما كان يؤثر سلباً على سير الحملة، ولمّا وصل رفق الخادم بحملته إلى حلب لم يأخذ بآراء كبار قواده بتنظيم قواته، وضبط مقاتلي طيء وكلب من خلال سجن أمرائهم، كما عرضوا عليه مصالحة ثمال ومنحه سجلاً باسم الخليفة الفاطمي بولاية حلب، ولمّا لم يستجب لمطالبهم، قرروا التخلي عنه والتوجه جنوباً، وهو الأمر الذي أدى إلى هزيمته، كما كان من أسباب هزيمته تخلي بعض الكلبيين المرتزقة عن رفق الخادم،

---

(1) ابن الأثير، الكامل، ج8، ص71؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص223- 224؛ بغية، مج5، ص2329- 2331؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص3؛ الصفدي، تحفة، ص340- 341؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص55؛ المقفى، ج3، ص358.

(2) ابن العديم، زبدة، ج1، ص224-225؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص3؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص55-56؛ المقفى، ج1، ص251؛ ج3، ص358.

(3) ناصر خسرو، سفر نامه، ص129؛ العظيمي، تاريخ حلب، ص339؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص139؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص225؛ بغية، مج8، ص3674- 3676؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص4؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص60.

(4) ناصر خسرو، سفر نامه، ص129- 130؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص4-5.

(5) ذكر الرحالة ناصر خسرو الذي عاصر هذا الحدث أثناء وجوده في القاهرة أن رفق الخادم كان "أمير المطالبين –أي الباحثين عن الكنوز والدفائن في باطن الأرض – وكان عظيم الجاه والمال، وكانت أمواله من الكثرة بحيث استغرق نقلها من خزائنه إلى خزائن السلطان شهرين"؛ سفر نامه، ص129.

وانضمامهم إلى صفوف المرداسيين. ومن جانب ثان، تعود بعض الأسباب إلى الإجراءات التي اتخذها ثمال بن صالح للتصدي للحملة، إذ أعاد قواته من مدن حمص وحماة ومعرة النعمان إلى حلب للدفاع عنها، وقام بمراسلة الإمبراطورية البيزنطية طلباً للنجدة، فأرسلت إلى الخلافة الفاطمية تطلب إيقاف حملتها ضد حلب، وإلا تدخلت للدفاع عنها، ولما لم تحصل على جواب سريع، وبلغها استمرار الحملة الفاطمية في زحفها، دعمت ثمال بن صالح بمبلغ من المال، وأرسلت عسكراً إلى أنطاكية لحفظ الأطراف من نحو حلب، والتدخل إلى جانب ثمال وقت الضرورة[1].

على الرغم من انتصار ثمال على الحملة الفاطمية، غير أنه سارع إلى استرضاء الخلافة الفاطمية، فقام بإطلاق جميع الذين أسرهم من جيش رفق الخادم، ثم أرسل سفارة إلى القاهرة في سنة 442هـ/ 1050م حملت معها مبلغ أربعين ألف دينار مقابل جزية عامين، وكثيراً من الهدايا الثمينة، وقد قابلت تلك السفارة الخليفة المستنصر بالله، وقد نجحت بمهمتها، واستطاعت أن تحصل على توقيع من الخليفة الفاطمي بحلب وسائر أعمالها لثمال بن صالح، ومنح ألقاب التشريف له ولجميع بني عمه[2]، وقد جلبت تلك المصالحة الاستقرار لحكم ثمال في حلب الذي صار يحكم فيها بصفته عاملاً من عمال الخلافة الفاطمية، ولكن هذا لا يعني أن الخلافة الفاطمية كانت راضية عن بقاء حلب بيد الحكم المرداسي الذي يدين بالطاعة لها، بل كانت تطمح لجعلها تحت الحكم الفاطمي المباشر، وهو ما حصل سنة 449هـ/ 1057م عندما تنازل ثمال بن صالح عنها للفاطميين بسبب ضغوط كبيرة تعرض لها، فما هي تلك الضغوط؟ وما سببها؟.

تعرض حكم ثمال في حلب لضغوط كبيرة بسبب ثورة البساسيري[3] قائد الجيش البويهي في العراق، وفرّ منها عند قدوم طغرل بك السلجوقي[4] إليها لاجئاً إلى مدينة الرحبة[5] التي كانت تتبع لحاكم حلب المرداسي، ومنها راسل الخلافة الفاطمية طالباً العون للسيطرة على بغداد، وإسقاط الخلافة العباسية، وهي الفرصة التي كانت تنتظرها بفارغ الصبر، لذلك بادرت إلى إرسال كميات هائلة من المساعدات المادية والعسكرية إليه في سنة 448هـ/ 1056م[6]، وما إن

---

[1] ابن العديم، بغية، مج8، ص3674- 3678؛ زبدة، ج1، ص226؛ زكار، إمارة حلب، ص116- 118.

[2] ناصر خسرو، سفر نامه، ص130؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص226- 227؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، 62- 63؛ المقفى، ج2، ص643، (يعود الفضل في نجاح سفارة ثمال إلى زوجته السيدة علوية بنت وثاب النميري التي كانت تتولى رئاسة السفارة، وتميزت ببداهتها وحسن إجابتها، وهو الأمر الذي لقي استحساناً من الخليفة المستنصر).

[3] أرسلان أبو الحارث وقيل أبو منصور البساسيري: منسوب إلى بسا - بلدة بفارس- بدأ حياته كعبد ثم ترقى في المناصب حتى أصبح الحاكم العسكري للقسم الغربي من بغداد، قام بثورة وسيطر على بغداد في ذي القعدة سنة 450 هـ/ 1058م، واستمر مسيطراً عليها لمدة سنة هجرية واحدة، أقام خلالها الدعوة للخليفة الفاطمي، وألغى الدعوة للخليفة العباسي، وانتهت ثورته مع مقتلة على أيدي قوات السلطان طغرلبك في ذي القعدة سنة 451 هـ/ 1059م؛ لمزيد من التفاصيل عن البساسيري وثورته، انظر: ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص 143- 150؛ ابن العديم، بغية، مج3، ص1347- 1357؛ زكار، سهيل، مدخل إلى تاريخ الحروب الصليبية، بيروت، دار الأمانة، ط1، 1972م، ص97- 120.

[4] طغرل بك بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق، أبو طالب: أول ملوك السّلجوقية، أعلن السّلطنة السّلجوقية سنة 429هـ/ 1037م، ونجح في بناء كيان سياسي للغزّ السّلاجقة في المشرق الإسلامي، دخل بغداد سنة 447هـ/ 1055م، وسيطر على الخلافة العباسية، وأنهى السلطة البويهية، توفي سنة 455هـ/ 1063م؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص11-14، 125- 126، 183- 185؛ الذهبي، محمد (ت، 748هـ/ 1347م)، العبر، (4 أجزاء)، تح: صلاح الدين المنجد وفؤاد سيد، وزارة الأعلام، ط2، الكويت، 1984م، ج3، ص237- 238.

[5] الرحبة (رحبة مالك بن طوق): تقع بين الرقة وبغداد، وهي تقوم على شاطئ الفرات أسفل من قرقيسيا، وهي اليوم تقع جنوب بلدة الميادين في محافظة دير الزور بسورية؛ الحموي، معجم البلدان، مج3، ص34؛ الشهابي، معجم المواقع الأثرية، ص204.

[6] المؤيد في الدين، هبة الله (ت، 470هـ/ 1078م)، سيرة المؤيد في الدين، تح: محمد كامل حسين، دار الكاتب المصري، ط1، القاهرة، 1949م، ص 99-100؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص145؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص7-8؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص76- 78؛ أرسلت الخلافة الفاطمية المساعدات للبساسيري مع داعي الدعاة الفاطمي المؤيد في الدين الشيرازي، فكان ما وصل "من مال

وصلت تلك المساعدات إلى البساسيري حتى استخدمها في تجنيد جيش كبير استخدمه للضغط على ثمال للتنازل له عن الرحبة التي اتخذها قاعدة لنشاطاته[1]. ولم يلبث ثمال أن اضطر للتنازل عن الرقة لمنيع بن شبيب بن وثاب أمير قبيلة نمير[2]، ما أدى إلى امتعاض قبيلة كلاب، وانشقاق صفوفها، ونشوب خلاف بين الأخوين ثمال وعطية ابني صالح، فانقسمت القبيلة في تأييدها بين الأخوين[3]. ولم تقف الضغوط على ثمال عند هذا الحد، بل واجه مشكلة سوء العلاقة بين الخلافة الفاطمية والإمبراطورية البيزنطية، فأرسل الخليفة الفاطمي جيشاً كبيراً لمحاربة البيزنطيين بقيادة مكين الدولة الحسن بن علي بن ملهم[4] في سنة 447هـ/ 1055م، فاشتبك ذلك الجيش مع البيزنطيين في عدة أماكن قرب أنطاكية، وعسكر قرب الحدود البيزنطية، وغرب حلب[5]، وهكذا فقد صار يضغط على حلب من جانبين هما: البساسيري وقواته من جهة الشرق، وابن ملهم وقواته الفاطمية من جهة الغرب، وتزامن مع تلك الضغوط انشقاق في صفوف قبيلة كلاب، وشح المواسم الزراعية وانتشار القحط في منطقة حلب في سنة 449هـ/ 1057- 1058م، ويضاف إلى ما تقدم انشغال الإمبراطورية البيزنطية بمشكلة هجرة التركمان إلى أراضيها، وبالتالي لم تعد قادرة على تقديم الدعم لحاكم حلب المرداسي[6]. وقد ضيقت هذه الضغوط في مجموعها على حكم ثمال بن صالح في حلب، وهي الفرصة التي انتهزتها الخلافة الفاطمية لوضع تلك المدينة تحت نفوذها المباشر، فالوزير الفاطمي اليازوري[7] (ت، 450هـ/ 1058م) لم يرضَ من ثمال بن صالح بما رضيه الوزراء قبله، أي الإبقاء على حكمه مقابل دفع جزية سنوية للخلافة الفاطمية، بل أراد إنهاء حكمه، ووضع حلب تحت الحكم الفاطمي المباشر، فاستعمل السياسة والتدبير الخفي، وندب لتحقيق ذلك رجلاً من ثقاته، هو عين الدولة[8] علي بن عياض قاضي صور، وقد أقنع عين الدولة ثمال بالتنازل عن حلب بكثرة ما وعده به ومنّاه، فسلّمها إلى قائد الجيش الفاطمي مكين الدولة الحسن بن علي بن ملهم في 26 ذي القعدة سنة 449هـ/ 23 كانون الثاني 1058م، فيما غادر ثمال باتجاه القاهرة، فعوضه الخليفة المستنصر بالله عنها

خمسمائة ألف دينار، ومن الثياب ما قيمته مثل ذلك، وخمسمائة فرس، وعشرة آلاف قوس، ومن السيوف ألوف، ومن الرماح والنشاب شيء كثير"؛ ابن تغري، النجوم، ج5، ص13.

(1) ابن العديم، زبدة، ج1، ص230؛ بغية، مج3، ص1348- 1349؛ المقريزي، المقفى، ج2، ص644.

(2) منيع بن شبيب بن وثاب بن سابق أبو الزمام النميري، أمير بنو نمير الذين ينتسبون إلى قبائل عامر بن صعصعة القيسية، والي حران والرقة، كان جواداً سمحاً، توفي سنة 454هـ/ 1062م؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص143؛ ابن شداد، الأعلاق، ج3، قسم1، ص76-77.

(3) المؤيد في الدين، سيرة، ص170؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص232؛ ابن شداد، الأعلاق، ج3، قسم1، ص76.

(4) الأمير ابن ملهم العقيلي (ت، بعد 452هـ/ 1060م): هو الحسن بن علي بن ملهم بن دينار العقيلي، أبو علي، الأمير مكين الدولة وأمينها، أحد الأمراء في الأيام المستنصرية، انتدبه الوزير اليازوري للإصلاح بين رياح وزغبة بطرابلس الغرب، ثم انتدبه لحرب الروم البيزنطيين في سنة 447هـ/ 1055م، ثم إنه تسلم حلب من ثمال بن صالح، وبقي فيها حتى سنة 452هـ/ 1060م؛ المقريزي، المقفى، ج3، ص424- 426.

(5) العظيمي، تاريخ حلب، ص343؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص7؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص75؛ المقفى، ج3، 387- 388، 425.

(6) الذهبي، العبر، ج3، ص220؛ زكار، إمارة حلب، ص124.

(7) الحسن بن علي بن عبد الرحمن، أبو محمد اليازوري، من أشهر وزراء الدولة الفاطمية، تولى الوزارة في سنة 442هـ/ 1050م، واستمر في منصبه حتى قتل سنة 450هـ/ 1058م؛ ابن الصيرفي، الإشارة، ص40-45؛ المقريزي، المقفى، ج3، ص366- 408؛ المناوي، الوزارة والوزراء، ص257.

(8) عين الدولة: هو عبد الله بن علي بن عياض، أبو محمد الصوري، المعروف بابن أبي عقيل، والملقب بعين الدولة، كان جليلاً نبيلاً، ولي القضاء بصور، توفي سنة 450هـ/ 1058م؛ ابن عساكر، تاريخ، ج31، ص71- 73؛ ابن تغري، النجوم، ج5، ص65.

بولاية مدن عكا وبيروت وجبيل[1]، وبهذا الحدث صارت حلب تحت الحكم الفاطمي المباشر للمرة الثالثة، وجرى هذا الأمر بشكل سلس وهادئ ودون أن يلاقي أية معارضة من أبناء حلب وأحداثها[2]؛ وقد تميز الوالي الفاطمي ابن ملهم بحسن إدارته لحلب، إذ بسط العدل بين الرعية، وأحسن السيرة فيهم، فرخصت الأسعار في أيامه، وبنى كثيراً من أبراج سورها[3]، ولكن على الرغم من ذلك لم يستمر الحكم الفاطمي لها طويلاً، بل انتهى في سنة 452هـ/ 1060م، فما سبب ذلك؟.

جاء سقوط الحكم الفاطمي لحلب سريعاً بسبب انهيار مشروعهم للسيادة على العالم العربي والإسلامي، وذلك إثر مقتل البساسيري على أيدي السلاجقة، وعودة إحياء الخلافة العباسية في بغداد سنة 451هـ/ 1059م، الحدث الذي أدى إلى خروج بلاد الشام من أيديهم بعده بقليل، ولم يبق لهم سوى ملك مصر[4]، كما أعطى الفرصة لقبيلة كلاب، لاستعادة نفوذها على حلب، فتحركت نحوها بقيادة محمود بن نصر بن صالح، فتسلم المدينة في جمادى الآخرة سنة 452هـ/ تموز 1060م، وأخذ في حصار القلعة التي لجأ إليها الجند الفاطمي، وفي إثر ذلك كلفت الخلافة الفاطمية والي دمشق ناصر الدولة الحسن بن الحسين بن حمدان للزحف بقواته باتجاه حلب، غير أنه هُزم سريعاً أمام قوات محمود بن نصر على الرغم من كبر عدد قواته التي بلغت خمسة عشر ألف فارس، في المعركة التي جرت بينهما في يوم الأربعاء 30 رجب سنة 452هـ/ 30 آب 1060م، وأصيب هو بجراح، وأخذ أسيراً[5]، فما سبب هزيمته؟ وما أثرها على النفوذ الفاطمي في حلب؟.

يعود انهزام ناصر الدولة السريع إلى تخلي بني كلب وبني طيء عنه، إذ تركوه وحده ليتحمل أوزار المعركة بقواته النظامية، وحصل أن جيشه عانى من قلة الماء لديه، ما أدى إلى هزيمتهم سريعاً، وكانت حملته آخر حملة فاطمية توجهت نحو حلب، وإثر ذلك استدعى الوالي الفاطمي ابن ملهم عطية بن صالح، فسلّمه المدينة، غير أنه لم يستطع الاحتفاظ بها بسبب عجزه عن ضبط الامور فيها، فاضطر للرحيل عنها، وقدم محمود بن نصر وتسلم المدينة في يوم الجمعة الثاني من شعبان سنة 452هـ/ 1 أيلول 1060م، ثم تسلم القلعة بعد عدة أيام من الوالي الفاطمي ابن ملهم،

---

(1) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص142؛ المؤيد في الدين، سيرة، ص171- 172؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص80، 99-100؛ المقفى، ج2، ص644؛ ج3، ص393-394؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص232- 233، (جعل تسليم حلب في سنة 448هـ/ 1057م)؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص8.

(2) الأحداث: هي تنظيمات اجتماعية شعبية شبه عسكرية، برزت في أوقات ضعف السلطة واضطراب الأوضاع، كانت وظيفتهم مماثلة لوظيفة الشرطة من حيث المحافظة على النظام وفرض الأمن والهدوء، وقد شغلت دوراً مهماً ومؤثراً في تاريخ بلاد الشام نحو قرنين من الزمن من أواسط القرن 4هـ/ 10م، حتى أواسط القرن 6هـ/ 12م؛ حول الأحداث ودورهم: مصطفى، شاكر، الحركات الشعبية وزعماؤها في دمشق، مجلة كلية الآداب والتربية، جامعة الكويت، العددان 3- 4، 1973م، ص174- 223؛ كاهن، كلود، الحركات الشعبية والاستقلال الذاتي في المدن الإسلامية خلال القرون الوسطى، ترجمة: علي مقلّد، مجلة الاجتهاد، بيروت، دار الاجتهاد، العدد السادس، 1990م، ص105- 206؛

Bianquis, Thierry, Damas et la Syrie sous la Domination Fatimide, Damas, 1986, p. 20-23.

(3) ابن العديم، زبدة، ج1، ص234.

(4) ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص149؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص158-161؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص11؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص178- 179.

(5) العظيمي، تاريخ حلب، ص344؛ ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص142، 150-151؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص234-237؛ بغية، بغية، مج1، ص545؛ ابن ميسر، أخبار مصر، ص12؛ المقريزي، المقفى، ج2، ص644-645؛ ج3، ص359؛ ابن الأثير، الكامل، ج8، ص169، (ذكر أن محمود ملك حلب وقتل عمه معز الدولة)، وهذا غير صحيح لأن معز الدولة ثمال كان بالقاهرة آنذاك.

وكان ابن ملهم آخر الولاة الفاطميين الذين حكموا في حلب[1]، ومنذئذ لم تعد الخلافة الفاطمية قادرة على ممارسة أي ضغط عسكري مؤثر عليها.

امتعضت الخلافة الفاطمية لخروج حلب من دائرة النفوذ الفاطمي المباشر، فاستدعى الخليفة المستنصر بالله ثمال بن صالح الذي يقيم في القاهرة، وكلفه باستعادة حلب، بعد أن زوّد بالمال، ومنح ألقاباً جديدة، وقد نجح ثمال بعد نزاع مع ابن أخيه محمود في العودة إلى حكم حلب في ربيع الأول سنة 453هـ/ نيسان 1061م، وكتب إلى المستنصر بالله باستعادتها، فسيّر الخلع إليه ولأخيه ولأولاده، وحافظ ثمال على ولائه للخلافة الفاطمية حتى وفاته في 23 ذي القعدة سنة 454هـ/ 28 تشرين الثاني 1062م[2]، وخلفه بناءً على وصيته أخوه عطية بن صالح، فنازعه على الحكم ابن أخيه محمود بن نصر بن صالح الذي حاصر حلب، وأرغم عمه على التنازل عن حكمها في رمضان سنة 457هـ/ آب عام 1065م، وحقق ذلك بمساعدة مجموعات التركمان الأولى التي وصلت إليها، وكانت بقيادة ابن خان، وقد أيدت الخلافة الفاطمية محمود بن نصر في نزاعه مع عمه عطية، ومنحته لقب "عظيم أمراء العرب عضد الدولة، سيف الخلافة، ذو الفخرين"[3]، ولكن الخلافة الفاطمية لم تلبث أن امتعضت من محمود بن نصر في سنة 459هـ/ 1067م عندما كتب الخليفة المستنصر بالله إليه يطالبه بإرسال جزية سنوية، والإغارة على الأراضي البيزنطية، وطرد ابن خان وأتباعه الغز من حلب، فردّ محمود عليه بأنه لا يقدر على تنفيذ أيٍ من مطالبه، وقد عدّ ذلك الردّ بمنزلة خروج على الطاعة للخلافة الفاطمية، فكلف الخليفة الفاطمي بدر الجمالي[4] والي دمشق بالزحف نحو حلب لانتزاعها من محمود، ولكن بدراً الجمالي لم يكن قادراً على قيادة أية حملة نحوها، لذلك بادر إلى استدعاء عطية بن صالح، ووعده بالمساعدة اللازمة لاستعادة حلب، فزحف عطية قاصداً إياها، فتصدى له محمود بن نصر عند حماة، ثم جرت وساطة بينهما، فتصالحا على اقتسام الإمارة بينهما، وفي خلال تصالحهما جدد الطرفان الولاء والطاعة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله[5]، ولكن محمود بن نصر لم يحافظ طويلاً على ولائه للخلافة الفاطمية، بل لاحظ التغييرات التي طرأت على موازين القوى في العالم الإسلامي إثر بروز السلاجقة قوة جديدة ومسيطرة، وانتشار التركمان الكثيف في مناطق بلاد الشام، في الوقت الذي اضطربت فيه أوضاع الخلافة الفاطمية، وأخذت تظهر عليها علائم الضعف والانهيار، فبادر إلى تغيير ولائه في شوال سنة 462هـ/ 1070م، حيث قطع الدعوة للخليفة الفاطمي المستنصر بالله، وأقام الخطبة للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي[6]، ومنذئذ صارت حلب تدور في فلك السياسة العباسية، ولم تعد الخلافة الفاطمية الفاطمية مهتمة بمد نفوذها سواء المباشر أو غير المباشر إلى حلب، بل انشغلت بمشاكلها الداخلية، ومن الأهمية

---

[1] العظيمي، تاريخ حلب، ص344؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص237- 239؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص101.

[2] العظيمي، تاريخ حلب، ص345؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص240، 246؛ المقريزي، المقفى، ج2، ص645.

[3] العظيمي، تاريخ حلب، ص346؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص247- 252؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص176.

[4] بدر الجمالي، أبو النجم، أمير الجيوش: كان مملوكاً أرمنياً ترقى في الرتب إلى أن ولي دمشق مرتين: الأولى (455- 456هـ/ 1063- 1064م)، والثانية (458-460هـ/ 1066- 1068م)، ثم تولى عكا، فلم يزل أميراً عليها إلى أن اضطربت خلافة المستنصر، فاستدعاه ذلك الخليفة إلى مصر، فدخل القاهرة في سنة 466هـ/ 1074م، فضبط الأمور، وقضى على رموز الفتنة، فعينه المستنصر في الوزارة، وردّ إليه الأمور كلها، واستمر مسيطراً عليها حتى توفي سنة 487هـ/ 1094م، وهو أول من ولي في الدولة الفاطمية الوزارة من أرباب السيوف، وبتوليه وزارة التفويض وإمرة الجيوش، بدأ عصر جديد في تاريخ الدولة الفاطمية، يسمّى "عصر نفوذ الوزراء"؛ ابن الصيرفي، الإشارة، ص55- 56؛ الصفدي، الوافي، ج10، ص59؛ المقريزي، المقفى، ج2، ص394- 402.

[5] سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص192- 193؛ ابن تغري، النجوم، ج5، ص80.

[6] ابن القلانسي، تاريخ دمشق، ص166؛ سبط ابن الجوزي، مرآة، ج19، ص223؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص259- 260؛ الدواداري، الدرة، ص389؛ أبو الفداء، المختصر، ج2، ص186؛ المقريزي، إتعاظ، ج2، ص131.

التساؤل عن الأسباب التي أدت إلى ضعف النفوذ الفاطمي المباشر في حلب، وعدم استقراره واستمراره لمدة طويلة، وما أسباب إخفاق الحملات الفاطمية باتجاهها؟.

بدون شك تأثرت السياسة الفاطمية تجاه حلب بوضعهم المضطرب في بلاد الشام، إذ واجهتهم كثير من التحديات والمشكلات في جنوبها لا سيما من قبل قرامطة البحرين وبني الجراح الطائيين، ما جعل نفوذهم فيها غير مستقر، الأمر الذي أثر سلباً على مد نفوذهم إلى حلب وشمال بلاد الشام، وجعلهم يوجهون جهودهم لتثبيت نفوذها في جنوبها ووسطها. كما أن ضعف النفوذ الفاطمي المباشر في حلب يعود لبعدها عن مركز الخلافة الفاطمية في القاهرة، ومناهضة قبائل بلاد الشام للحكم الفاطمي، وتدخل الإمبراطورية البيزنطية لحماية حلب من السقوط بأيدي الفاطميين، لكي تبقى بأيدي إمارة صغيرة ضعيفة تنشد مسالمتها، ولا تكون تحت سلطة دولة قوية، ولديها إمكانيات كبيرة وطموحات واسعة. كما أن حملات الفاطميين باتجاه حلب أخفقت بسبب اعتمادهم فيها على قبائل جنوب بلاد الشام لا سيما من قبيلتي كلب وطيء وغيرهما، ما جعل قوات قبيلة كلاب صاحبة النفوذ في شمال بلاد الشام تستبسل في الدفاع عن ديارها، وكانت تعد تحرك تلك القبائل باتجاه ديارها عملاً عدوانياً، ومن جانب آخر لم تكن تلك القبائل مخلصة للفاطميين في حملاتهم، بل جاءت مشاركتها فيها قسراً بطلب من السلطات الفاطمية، أو فرضت مشاركتها أحياناً بهدف الحصول على المغانم ليس أكثر، لذلك لم يكن يعنيها كثيراً سيطرة الفاطميين على حلب، وكثيراً ما تخلت عنهم وقت اشتداد المعارك، وانضمت إلى صفوف المدافعين على حلب من الحمدانيين ثم الكلابيين. ويضاف إلى ما تقدم اضطراب إدارة الفاطميين في حلب، ما جعل حكمهم لها غير مستقراً، وغير مستمراً، لا سيما بسبب خروج بعض ولاتهم على الطاعة، وإعلانهم الاستقلال فيها كما حصل مع عزيز الدولة فاتك، أو بسبب سوء إدارة بعض الولاة، أو بسبب وقوع الصدام بين القوات الفاطمية المرابطة فيها أو بينها وبين قوى حلب المحلية المعروفة بالأحداث[1].

خاتمة:

لقد شكلت حلب أحد المحاور الرئيسة في السياسة الفاطمية لمدة تزيد على القرن من الزمن ما بين أواسط القرن الرابع الهجري/10م، وأواسط القرن الخامس الهجري/11م، حيث شغلت حيزاً من اهتمام الإدارة الفاطمية التي كان لديها رغبة جامحة في السيطرة عليها، وتوحيد بلاد الشام بأكملها تحت سلطتها، وذلك في عهود خمسة خلفاء فاطميين، وهم: المعز لدين الله (341- 365هـ/ 953- 975م)، والعزيز بالله (365- 386هـ/ 975- 996م)، والحاكم بأمر الله (386- 411هـ/ 996- 1021م)، والظاهر لإعزاز دين الله (411- 427هـ/ 1021- 1036م)، والمستنصر بالله (427- 487هـ/ 1036- 1094م)، فقد سعت الخلافة الفاطمية في عهودهم بأقصى ما تمكنت لجعل حلب تابعة لنفوذها، وجمعت في سعيها ما بين العمل السياسي والحملات العسكرية، والجدير بالذكر انها في البداية كانت راضية من أمراء حلب بإعلان الولاء والطاعة، بسبب انشغالها بتثبيت نفوذها في جنوب بلاد الشام، ولكنها ما إن تخلصت من مشاكلها في الجنوب حتى تخلّت عن سياستها السالفة، وتحولت إلى السياسة العسكرية تجاه حلب، فدفعت نحوها بعشرات الحملات العسكرية، وأنفقت الأموال الكثيرة من أجل السيطرة عليها وإخضاعها للحكم الفاطمي المباشر، ولكن على الرغم من ذلك لم تستطع أن تسيطر عليها سوى لمدة لا تتجاوز الستة عشرة سنة، وهي موزعة على ثلاث مرات، الأولى ما بين (406- 415هـ/ 1016- 1025م)، والثانية (429- 433هـ/ 1038- 1042م)، والثالثة (449- 452هـ/1058- 1060م). وفي خلال المرات الثلاث تقربت الخلافة من أهالي حلب، وقامت بالعديد الأعمال المفيدة

[1] **المسبحي، اخبار مصر، ص44؛ ابن العديم، زبدة، ج1، ص197- 199، 235.**

لهم، ولكن مع ذلك بقي حكمها لحلب قلقاً ومضطرباً، بسبب بعدها عن مركز الخلافة الفاطمية، وسوء إدارة بعض الولاة الفاطميين، ومحاولتهم الخروج على الطاعة والاستقلال بحلب، وبسبب مناهضة قبائل بلاد الشام للحكم الفاطمي، ولاعتماد الفاطميين في حملاتهم باتجاه حلب على قبائل جنوب بلاد الشام من طيء وكلب، ما جعل قبائل شمال بلاد الشام تستبسل في الدفاع عن ديارها والتصدي لتلك الحملات، ويضاف إلى ما تقدم تدخل بيزنطة لمنع سقوط حلب بأيدي الفاطميين. والجدير بالذكر أنه على الرغم من قصر المدة الزمنية التي سيطرت فيها الخلافة الفاطمية على حلب، غير أن سياستها تجاهها، وفي بلاد الشام عامة، قد وضعت حداً لمحاولات البيزنطيين المتكررة لاستعادة السيطرة عليها، وحافظت عليها من السقوط بأيديهم.

Sources and references A- Sources:

1. Al-Antaki, Yahya (d.458 AH /1066 AD). History of Antioch, Taht: Omar Tadmouri, Gross Press, Tripoli, 1990 AD.
2. Al-Azdi, Ali (d. 623 AH / 1226 AD), News of the Hamdani State edited by: Tamimah Al-Rawaf, Damascus, Dar Hassan, 1, 1985AD.
3. Ibn al-Atheer, Ali (d. 630 AH / 1232 AD), al-Kamil fi al-Tariikh, (11 volumes), Under: Omar Tadmouri, Dar al-Kitab al-Arabi, 4th Edition, Beirut, 2004 AD.
4. Ibn al-Adim, Omar (d. 660 AH / 1262 AD), Bugyet al-talb, (12 volumes), edited by: Suhail Zakkar, Dar al-Fikr, Beirut, 1988AD.
5. Ibn al-Adim, Zubdat al-halab, (two parts), edited by: Suhail Zakkar, Dar Al-Kitab Al-Arabi, T 1, Damascus, 1997AD.
6. Ibn Asaker, Ali (d. 571 AH / 1175 AD), the history of the city of Damascus, (80 parts), edited by: Ali Shiri, Dar Al-Fikr, Beirut, 1995AD.
7. Ibn al-Qalansi, Hamza (d. 555 AH / 1160 AD), History of Damascus, edited by: Suhail Zakkar, Dar Hassan, 1, Damascus, 1983 AD.
8. Ibn Maysir, Muhammad (d. 677 AH / 1278 AD), Egypt News, Volume 2, edited by: Henri Masseh, The French Scientific Covenant, Cairo, 1919 AD.
9. Ibn al-Abri, Gregory (d. 685AH/ 1286AD), Brief History of the States, under: Khalil Mansour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st Edition, Beirut, 1997 AD.
10. Ibn Hawqal, Muhammad (d. Circa 367 AH / 977 AD), Image of the Earth, Braille Press, 2nd Edition, Leiden, 1938AD.
11. Ibn Khaldun, Abd al-Rahman (808 AH / 1406 AD), The History of Ibn Khaldun, (8 volumes), edited by: Khalil Shehadeh, Dar Al Fikr, Beirut, 2001 AD.
12. Ibn Khallkan, Muhammad (d. 681 AH / 1282 AD), Wafayat al-ayan, (8 volumes), under: Ihsan Abbas, Dar Sader, Beirut, (d.t).
13. Ibn Kathir, Ismail (d. 774 AH / 1372 AD), The Beginning and the End, (20 volumes), Under: Abdullah al-Turki, Dar Hajar, First Edition, Cairo, 1998AD.
14. Ibn Taghri Bardi, Yusef (d. 874 AH / 1469 AD), The Staring Stars, (16 volumes), under: Muhammad Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1st Edition, Beirut, 1992 AD.
15. Ibn al-Shinah, Muhammad (d. 890 AH / 1485 AD), The Durr al-Muntkhab, edited by: Abdullah al-Darwish, Dar al-Kitab al-Arabi, Damascus, 1984 AD.
16. Ibn Shaddad, Muhammad (d. 684 AH / 1285 AD), Al-alaq al-khatira, (3 volumes), part 3, edited by: Yahya Abbara, Ministry of Culture, Damascus, 1978 AD.
17. Ibn al-Sirafi, Ali (d. 542 AH / 1147 AD), reference to who obtained the ministry, edited by: Abdullah Mukhlis, French Scientific Institute, Cairo, 1923 AD.

18. Al-Dhahabi, Muhammad (d. 748 AH / 1347 AD), Al-Abr, (4 volumes), edited by: Salah Al-Din Al-Munajjid and Fuad Sayed, Ministry of Information, 2nd Edition, Kuwait, 1984 AD.
19. Abu al-Fida, Ismail (d.732AH/ 1331AD), al-Muqisasir fi news al-humans, (4 parts), Dar al-Maarifa, Beirut, (d.t).
20. Al-Hamwi, Yaqut (T, 626 AH / 1229AD), Mujam al-Buldan, (7 volumes), Dar Sader, 2nd Edition, Beirut, 1995AD.
21. Al-Maqdisi, Muhammad (d., About 380AH / 990AD), Best of Taqasim, Braille Press, Leiden, 1906 AD.
22. Al-Maqrizi, Ahmad (d. 845 AH/ 1441AD), Ataaz Al-hunafa, the Caliph, (2 parts), under: Muhammad Atta, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st Edition, Beirut, 2001AD.
23. Al-Maqrizi, Al-Muqaffa, (8 volumes), edited by: Muhammad Al-Yalawi, Dar Al-Gharb Al-Islami, Edition 1, Beirut, 1991 AD.
24. Al-Nuwairi, Ahmad (d. 733 AH / 1332 AD), Nyhat Al-arb, (33volumes), (C26-27) Tah: Naguib Fawaz, Hikmat Fawaz, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1st Edition, Beirut, 2004 AD.
25. Al-Ruthrawari, Muhammad (d. 488AH / 1095AD), the tail of the experiences of nations, with care: H. P. Amdroz, The Industrial Urbanization Company, Egypt, 1916 AD, published as a third part of the book The Experiences of Nations by Miskawayh.
26. Al-Safadi, Khalil (d. 764 AH / 1362 AD), Thfat zawe Albab, edited by: Ihsan Kholousi and Zuhair Humaidan, Dar Al-Bashaer, 2nd floor, Damascus, 1999 AD.
27. Al-Safadi, Al-Wafi Balwiyat, (29 volumes), under: Ahmad Al-Arnaout, Turki Mustafa, House of Revival of Arab Heritage, 1st Edition, Beirut, 2000 AD.
28. Al-Dawadari, Abu Bakr (d., after 736 AH / 1335 AD), The Going Durra in the News of the Fatimid State, edited by: Salah Al-Din Al-Munajjid, German Institute of Archeology, Cairo, 1961 AD.
29. Sibt Ibn al-Jawzi, Yusuf (d. 654 AH / 1256 AD), Muraat Al-zaaman, (23 volumes), part 17, edited by: Ammar Rihawi; C 18-19, edited by: Muhammad Al-Khan, Kamel Al-Kharrat, Dar Al-Resala Al-Alameya, I 1, Damascus, 2013 AD.
30. Al-azimi, Muhammad (d. 556 AH / 1161 AD), History of Aleppo, edited by: Ibrahim Zaarour, Damascus, 1984 AD.
31. Al-Qurashi, Idris (d. 872 AH / 1467 AD), News of the Fatimid State, edited by: Mustafa Ghalib, Dar Al-Andalus, 1978 AD.
32. Al-Quda'i, Muhammad (d. 454AH/1062AD), Tarikh al-Quda'i, edited by: Jamil Abdullah Al-Masri, Umm Al-Qura University, Makkah Al-Mukarramah, 1995AD.
33. Al-Masbahi, Muhammad (d. 420 AH / 1029 AD) Egypt News, Part 40, edited by: Ayman Sayed and Tiare Bianchi, French Scientific Institute of Oriental Archeology, Cairo, 1978 AD.
34. Al-Muhallabi, Al-Hasan (d. 380 AH/990 AD), The Aziz Book, Collected by: Tayseer Khalaf, Dar al-Takween, Edition 1, Damascus, 2006 AD.
35. Al-Mu'ayyad fi al-Din, Hebatullah (d. 470 AH/1078 AD), Biography of al-Mu'ayyad fi al-Din, edited by: Muhammad Kamel Hussein, Dar al-Kitab al-Masry, i 1, Cairo, 1949 AD.
36. Nasir Khusraw, Nasir Khusraw al-Qabadani (d., about 481 AH/1088 AD), Safar Namah, t.: Yahya al-Khashab, Egyptian General Book Organization, 2nd floor, Cairo, 1993 AD.

B- References: First - Arabic:

1. Bitar, Amina, The Position of the Arab Princes in Bilad Al-Sham and Iraq towards the Fatimids, Dar Damascus, 1, Damascus, 1980AD.
2. Al-Zarkali, Khair Al-Din, Al-Alam, House of Science for Millions, 15th Edition, Beirut, 2002 AD.
3. Zakkar, Suhail, Emirate of Aleppo, Arab Book House, Damascus, (d.T).
4. Zakkar, Introduction to the History of the Crusades, Dar Al-Amana, 1, Beirut, 1972 AD.
5. Surur, Muhammad, Fatimid Influence in the Bilad Al-sham and Iraq, Dar al-Fikr al-Arabi, 2nd Edition, Cairo, 1959 AD.
6. Salem, Mr. Abdel Aziz, Tarapus Al-sham in Islamic History, University Youth Foundation, Alexandria, 1966 AD.
7. Al-Samer, Faisal, The Hamdani State in Mosul and Aleppo, Baghdad University Press, Baghdad, 1973.
8. Seed; Ayman, The Fatimid State in Egypt, the Egyptian General Book Authority, Cairo, 2007 AD.
9. Al-Shihabi, Qutaiba, Dictionary of Archaeological Sites in Syria, Ministry of Culture, Damascus, 2006 AD.
10. Sheikh, Muhammad, The Arab Emirates in the Bilad Al-sham in the Eleventh and Twelfth Centuries A.D, The Egyptian General Book Organization, I 1, Alexandria, 1980 A.D.
11. Taqosh, Muhammad, History of the Tulunids, Ikhshidids and Hamdanids, Dar Al-Nafais, 1, Beirut, 2008 AD.
12. Abd al-Mawla, Muhammad, Banu Merdas al-Kalabiyun in Aleppo and the North of the Blad Al-sham, University Knowledge House, 1st Edition, Alexandria, 1985 AD.
13. Al-Arini, Al-Sayyid Al-Baz, The Byzantine State, Dar Al-Nahda Al-Arabiya, Beirut, 1982.
14. Farah, Naim, Political History of Byzantium, Damascus University, 2009 AD.
15. Al-Maadidi, khatha, Political Life in the Bilad Al-Sham during the Fatimid Era, Dar Al-Hurriya, 1st Edition, Baghdad, 1976 AD.
16. Al-Manawi, Muhammad, The Ministry and Ministers in the Fatimid Era, Dar Al-Maaref, Cairo, (d.T).

Second - Research and periodicals:

17. Mustafa, Shaker, Popular Movements and Their Leaders in Damascus, Journal of the College of Arts and Education, Kuwait University, Nos. 3-4, 1973.
18. Kahn, Claude, Popular Movements and Autonomy in Islamic Cities during the Middle Ages, translated by: Ali Mukalled, Journal of Al-Ijtihad, Beirut, Dar Al-Ijtihad, No. 6, 1990 AD.

Third - Foreign references:

19. Bianquis, Thierry, Damas et la Syrie sous la Domination Fatimide, Damas, 1986.
20. Salibi, Kamal, Syria under Islam, first published , Lebanon, 1977.